استيعاب النص الشعري للاقتباس والتضمين
عند
ابن عبدربه الأندلسي

إعداد

د.عوض بن عبدالله القرني

أستاذ الأدب المشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

عميد الدراسات العليا

جامعة الباحة

المملكة العربية السعودية

١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

يتناول هذا البحث ظاهرتي الاقتباس والتضمين في شعر ابن عبدربه الأندلسي، ومدى استيعاب النص الشعري لهما؛ لأن السواد الأعظم من الشعراء على اختلاف عصورهم ودهورهم، وشهرتهم وظهورهم، يقتبسون ويضمّنون، في موطن أو مواطن عديدة من أشعارهم، إلا أن ما تميز به شعر ابن عبدربه، وخاصة المقطعات العروضية كثرة التضمين، وغالبًا ما يكون البيتَ الأخير من كل مقطوعة، وقد أبدع في جوانب كثيرة في المواءمة بين هذين الجسدين في روح واحدة؛ فيظهر البيتُ المضمَّن كجزء لا يتجزأ من شعر ابن عبدربه، في صورة تدل على قدرة الشاعر في تطويع نصه لاستقبال الغريب وقراه، حتى يشعر أنه بعض منه، وكأنه من أول الأمر بعضه، هذا في الغالب من شعره، وفي تصوري أنه –وإن لوحظ التنافر في الربط بين النص والتضمين أحيانًا– قد أبدع في الكثير من تضمينه بالنظر في كل نص على انفراد، ولكننا بالنظر إلى التضمين جملة في أبياته نلحظ كثرته بصورة قد يملّ منها المتلقي، لا سيما مع ضياع أغلب ديوانه، الذي كان وجوده سيُحدث نوعًا من التوازن لكثرة النصوص المعروضة؛ لأنه فيما يبدو كان محصورًا على المقطعات العروضية على الأغلب، وإن كانت ثمة نماذج من شعره سواها ظهرت فيها مظاهر قليلة للتضمين.

يتناول البحث الحديث عن الاقتباس والتضمين؛ ولكثرة التضمين حظي بالحديث والتحليل أكثر؛ لأن الاقتباس في نماذج محدودة، وذلك من خلال تمهيد يتناول الحديث عنهما، وإيراد نماذج وأمثلة عليهما، ثم ينتقل التمهيد للتعريف السريع بابن عبدربه الأندلسي، وحياتِه بين التقليد والتجديد؛ بعد ذلك

تشرع الدراسة في تناول ثلاثة مباحث رئيسة: المبحث الأول: المظاهر البارزة في هذين الفنين البديعيين عند شاعرنا، بينما يتناول المبحث الثاني نوع المادة المضمَّنة، ويأتي بعدهما المبحث الثالث ليحدد موقف النص الشعري لابن عبدربه من المواد المقتبسة أو المضمّنة التي أوردها في شعره، قبل أن يختم الباحث دراسته بخاتمة تتجلى فيها أهم النتائج التي توصل إليها، مع الإشارة إلى ما يمكن الإضافة إليها، والتنبيه عليها.

مفاتيح البحث: الشعر، ابن عبدربه، الأندلس، التضمين، الاقتباس، استيعاب النص.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإنني –من غير تعصب– أهيم بإرثنا الأندلسي التليد، وأجدني متعلقًا به إلى درجة الهيام، أتلذذ ببيانه، وأستظل ببنيانه؛ فكأن أهل الأندلس عشيرتي الأقربين، صلتهم واجبة، والسلام عليهم فريضة، وقطيعتهم جريرة، والحياة بغيرهم مريرة، وممن قرأت له –رغم ضياع كثير من شعره– ابن عبدربه الأندلسي، الذي جمع نيفًا وعشرين جزءًا من جملة ما جمعه، معظمه بخط يده الباقية[١] أتت عليه أيدي البغي؛ فضاع مع ما ضاع من تراث الفردوس السليب، ولو قُدّر لنا أن نحظى بقراءته لما كانت –من غير شك ولا ريب– هذه الأوراق، أو كانت بصورة أخرى.

لقد انبجست فكرة البحث من الكم الكبير الذي لحظته في ديوان ابن عبدربه من الاقتباس والتضمين، وإذا كان الاقتباس معدودًا ومحدودًا فإن التضمين ظاهرة تستحق الوقوف عليها، والإشارة إليها، خاصة وأن هذا الجانب –فيما أعلم– لم يتناوله مهتم بالشعر الأندلسي عامة، وبشاعرنا على وجه الخصوص.

يرتكز هذا البحث على هاتين الظاهرتين وخاصة التضمين؛ إذ إن السواد الأعظم من الشعراء على اختلاف عصورهم ودهورهم، وشهرتهم

---

[١] – يُنظر: جذوة المقتبس من ذكر ولاة الأندلس، الحميدي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٦م: ١٠١، وتاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٤م: ١٤١/٣، و تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ١٧، ١٩٦٠م: ٤٨، ١٥٣.

وظهورهم، يقتبسون ويضمّنون، في موطن أو مواطن عديدة من أشعارهم، إلا أن ما تميز به شعر ابن عبدربه، وخاصة المقطعات العروضية كثرة التضمين، وغالبًا ما يكون البيتَ الأخير من كل مقطوعة، وقد أبدع في جوانب كثيرة في المواءمة بين هذين الجسدين في روح واحدة؛ فيظهر البيتُ المضمَّن كجزء لا يتجزأ من شعر ابن عبدربه، في صورة تدل على قدرة الشاعر في استيعاب نصه للضيف، وإحلاله بين أبياته ضيفًا لا يتنافر معها، وكأنه من أول الأمر منها، هذا في الغالب من شعره، وفي تصوري أنه –وإن لوحظ التنافر في الربط بين النص والتضمين أحيانًا– قد أبدع في الكثير من تضمينه بالنظر في كل نص على انفراد، ولكننا بالنظر إلى التضمين جملة في أبياته نلحظ كثرته بصورة قد يملّ منها المتلقي، لا سيما مع ضياع أغلب ديوانه، الذي كان وجوده سيُحدث نوعًا من التوازن لكثرة النصوص المعروضة؛ لأنه فيما يبدو كان محصورًا على المقطعات العروضية على الأغلب، وإن كانت ثمة نماذج من شعره سواها ظهرت فيها مظاهر قليلة للتضمين.

يتناول البحث الحديث عن الاقتباس والتضمين؛ ولكثرة التضمين حظي بالحديث والتحليل أكثر؛ لأن الاقتباس في نماذج محدودة، مع أنه يلاحظ على العديد من أبيات ابن عبدربه الروح الإسلامية، التي تنقل معنى كريمًا من المعاني الإسلامية الواردة في القرآن الكريم، ويتناول البيت ألفاظًا من الذكر الحكيم، ولكنها ما لم تصل إلى الاقتباس فإني لا أوردها؛ لخروجها عن فحوى هذا البحث.

ارتأيت تقسيم هذا البحث إلى تمهيد يتناول الحديث عن الاقتباس والتضمين، وإيراد نماذج وأمثلة عليها، ثم ينتقل التمهيد للتعريف السريع بهذا الشاعر البريع البديع، والحديث عن حياته بين التقليد والتجديد؛ لما للاقتباس والتضمين من إيحاءات تضاف إلى إشارات أخرى تلقي بظلالها على حياة

الشاعر الشعرية، ثم قسمت بعد ذلك الدراسة إلى ثلاثة مباحث رئيسة: المبحث الأول يتناول المظاهر البارزة في هذين الفنين البديعيين عند شاعرنا، سواء أكان ذلك –فيما يخص التضمين– من أقوال السابقين، أم من أشعارهم، أم كان من شعره هو الذي قاله، على ما يعرف عند دارسيه بالممحصات، مع إيراد النماذج والأمثلة الشعرية الدالة على ذلك، وما يلحظ في العديد منها من تكرار الاقتباس والتضمين أو الجمع بينهما في نص واحد، في صورة تعكس هيام شاعرنا بذلك.

بينما يتناول المبحث الثاني نوع المادة المضمَّنة، ما بين نثرية، أو شعرية جرت مجرى المثل، أو شعرية صرفة، مع التنبيه على الأبيات وأنصافها أو الأجزاء منها، والإيماء لما كان منها شائعًا ذائعًا، أو كان دون ذلك، والإشارة لمعلومة القائل ومجهولته والمختلف فيه منها.

ثم يتناول المبحث الثالث موقف النص الشعري لابن عبدربه من المواد المقتبسة أو المضمّنة التي أوردها في شعره، وكيف كان استيعاب النص الأصلي لهذه المواد، ومدى التناغم والانسجام والتوافق أو التباين بينهما، مع إيراد النماذج الشعرية التي تؤكد ذلك من وجهة نظر متجردة.

وتنهي الدراسة مباحثها بخاتمة تتجلى فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، مع الإشارة إلى ما يمكن إضافته إليها، مما قد يدعمها من دراسات مستقبلية أوقدت الدراسة أوارها ودلت عليها.

تمهيد

أولاً:

التضمين والاقتباس

من السهل على شاعر أن يبني أبياته بمواد يتخيرها من قاموسه الشعري، من غير أن تُفرض عليه، ومع ذلك فإنه قد يُحمل عليه نفور بين مواده، وقد يعاب عليه عدم ترابطها، رغم أنه كانت له الخيرة في اصطفائها، والخيار في انتقائها، لكن من الإبداع حقًا أن يمزج الشاعر بين مادته الشعرية ومادة يقتبسها من النصوص السابقة سواء أكان ذلك من القرآن الكريم أم الحديث الشريف، أم مادة يضمنها نصّه من نصوص السابقين أو من نصوصه السابقة شعرًا كانت أم نثرًا.

يتضمن تراثُنا الأدبيُّ الكثيرَ من النماذج الشعرية التي رسخت الاقتباس والتضمين كجوانب بديعية تزيد الكلام العربي جمالاً وجلالًا، فـ (أما الاقتباس: فهو أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه)[١]؛ لما في ذلك من قداسة النص القرآني والنبوي، ومثال الاقتباس من القرآن الكريم قول الشاعر[٢]:

إن كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ما جرم ۞فصبرٌ جميلْ"
وإن تبدلت بنا غيرنا ... ۞فحسبنا الله ونعم الوكيلْ"

---

[١] – تلخيص المفتاح، في المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية سيدا، بيروت، ط. ١، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م: ٢١٧.

[٢] – العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدربه، المعروف بابن عبدربه الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ: ٤٩/٧.

وأما الاقتباس من الحديث النبوي الشريف فكقول الصاحب بن عباد[1]:

قال لي إن رقيبي سيئ الخلق فدارِه
قلت دعني وجهك ·الجنـ ـة حفت بالمكاره"

وللاقتباس وجوه، منها:

١- نقل اللفظ والمعنى من غير تغيير، كقول أبي منصور عبدالرحمن بن محمد بن سعيد[2]:

خلة الغانيات خلة سوءٍ ·فاتقوا الله يا أولي الألباب"
وإذا ما ·سألتموهن شيئًا فاسألوهن من وراء حجاب"

٢- نقل اللفظ مع تغيير في المعنى، كقول الشاعر[3]:

---

[1] – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م: ٢٩٨/٣

[2] – دمية القصر وعصرة أهل العصر، أبو الحسن، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ: ١٤٥٨/٢، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط: ١٧، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ٦٩٠/٤.

[3] – نُسب البيتان إلى ابن الرومي في بغية الإيضاح: ٦٩١/٤، ونسبا إلى إسماعيل القراطيسي في: عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ: ١٦١/٣، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد، عبدالله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ١٠٥/٢، ونسب إليه البيت الثاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ: ٦٩٠/١.

لئن أخطأت في مدحيك ما أخطأت في منعي
لقد أنزلت حاجاتي ·بوادٍ غير ذي زرعِ"

٣- نقل اللفظ بتغيير يسير من غير إخلال بالمعنى، كقول القاسم بن يوسف يرثي ابنه أبا علي محمدًا[١]:

قد كان ما خفت أن يكونا ·إنا إلى الله راجعونا"

وكقول القاضي منصور الهروي الأزدي[٢]:

فلو كانت الأخلاق تحوى وراثة ولو كانت الآراء لا تتشعبُ
لأصبح كل الناس قد ضمهم هوى كما أن كل الناس قد ضمهم أب
ولكنها الأقدار ·كل ميسر لما هو مخلوق له" ومقرب

وأما التضمين فمصطلح تعددت استعمالاته -قديمًا وحديثًا- عند النحاة والعروضيين والبلاغيين، وعندما أوردُ مصطلح التضمين في هذا البحث فإنني لا أعني به ما ورد في علم النحو ولا العروض والقافية ولا علم البيان والمعاني[٣]؛ ولا أعني به كذلك من تجوّز في تسمية ما ورد منه اقتباسًا

---

[١] - الأوراق، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، شركة أمل، القاهرة، ١٤٢٥هـ: ٢٠٣/١

[٢] - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت: ٣٣٩-٣٤٠، وبغية الإيضاح: ٦٩٢/٤-٦٩٣.

[٣] - للمزيد ينظر: دستور العلماء، أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط. ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م: ٢١٣/١

تضمينًا، ولا أعني به التناصَّ وإن كان أشمل وأكثر اتساعًا[١]، وإنما أعني به ما ورد عند أهل البديع مِنْ «أنْ يضمّن الشاعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا »[٢] عند البلغاء، فإن كان مشهورًا فلا حاجة إلى التنبيه عليه، أو الإشارة إليه، وقد توسع بعضهم فأدخل فيه النثر[٣] والشعر على حد سواء، كما وردت تسميته بغير التضمين، مثل: الاستلحاق، والاجتلاب، والإيداع[٤] والاستعانة، والرفو[٥].

كثُر الحديث عن هذا الفن البديعي، وسمّي بأسماء متعددة، ولكنها في جملتها تفضي إلى المراد من التضمين أو قريب منه؛ بحيث يفهم أن المراد منها جميعًا –مع اختلاف في تفاصيل بعضها– أن يعمد الشاعر إلى مادة

---

[١] – الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاته، محمد بنيس، دار توبقال– المغرب ، ط١، ١٩٩٠م: ١٨٣

[٢] – البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م: ٣٨

[٣] – قال ابن الأثير في التضمين: (أن يضمن الشاعر شعره، والناثر نثره كلامًا آخر لغيره قصدًا للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود، ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تامًا). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ابن الأثير. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية – بيروت. ١٩٩٥م: ٣٢٦/٢

[٤] – ينظر مجلة دراسات أدبية. مركز البصيرة للدراسات والبحوث بالجزائر. ع جوان ٢٠٠٩م. نسخة إلكترونية.

[٥] – موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، ترجمة: عبدالله الخالدي، وجورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١، ١٩٩٦م: ٤٧٠/١

وردت عند شاعر أو ناثر غيره فيضمنها في قصيدته أو نصه؛ فإن كانت شهيرة ظاهرة أوردها دون إشارة إلى تضمينها، وذلك مثل قول القائل[١]:

قد قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آسِ

أعذاره الساري العجول ترفقاً • ما في وقوفك ساعة من باسِ"

وللشاعر المضمِّن أن يورد المضمَّن مع الإشارة إليه، والدلالة عليه بلفظ أو معنى يفهم منه المتلقي أنه تضمين من قول غيره لا قوله، ولا يتبادر إليه كذلك أنه سرقة أو انتحال، ومنه قول ابن العميد[٢]:

أشكو إليك زماناً ظل يعرُكني

عرك الأديم، ومن يعدو على الزمنِ

وصاحباً كنتُ مغبوطاً بصُحبته

دهراً فغادرني فرداً بلا سكنِ

وباع صفو ودادٍ كنت أقصُره

---

[١] – البيتان في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق إحسان عباس. دار صادر – بيروت ١٩٩٤: ١/٥، والوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م: ٢٠٤/٧، وبغية الإيضاح: ٦٩٤/٤.

[٢] – الأبيات في يتيمة الدهر: ٢٠٢/٣–٢٠٣، وبعضها في التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ: ٧٠/٥، ونسبت الأبيات إلى عبدالصمد بن بابك في غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط، ضبطه وصححه وعلق حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨م: ٥٩٤، ونسبت إلى الصاحب بن عباد في جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٣٤٠

عليه مُجتهداً في السِّر والعلَن

كأنه كان مطويّاً على إحنٍ

ولم يكن في قديم الدهر أنشَدني:

"إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

من كان يألفهم في المنزل الخشن"

لقد ضمّن كثير من الشعراء أبياتهم بمواد شعرية أو نثرية شهيرة – سابقة لعصورهم غالبًا– بطرائق متعددة، ومنهم من ضمّن شعره بمواد أخرى من شعره في فترة سابقة من حياته، خاصة إذا فسح الله له في عمره، ونسأ له في أجله، وممن له في هذين النوعين من التضمين باع، وشهير من الطباع: ابن عبدربه الأندلسي، الذي حفل ديوانه بنماذج من التضمين عزّ أن نجد نظيرًا لها في دواوين الشعراء، وجاءت تلك النماذج في صور متعددة، تفضي في جملتها إلى تعلق ابن عبدربه بهذا اللون البديعي، وإكثاره منه، سواء أكان ذلك من خلال تضمينه من أشعار المشارقة السابقين وأقوالهم، أم من أشعاره التي قالها في صباه، مع تعدد الأهداف التي أرادها، والمقاصد التي رادها.

ثانيًا:
ابن عبدربه الأندلسي

أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبدربه بن حبيب بن حُدير بن سالم القرطبي، مولى هشام بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي، وكان جده الأعلى "سالم" أحدَ موالي هشام بن عبدالرحمن.[١]

---

[١] – انظر ترجمته في وفيات الأعيان: ١١٠/١، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى. علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا. دار الكتب العلمية – بيروت. ط١، ١٤١١هـ: ٣٦/٦، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية – لبنان: ٣٧١/١، جذوة المقتبس للحميدي ٩٤، مطمح الأنفس ومسرح التأنس للفتح بن محمد بن عبدالله القيسي ابن خاقان ط١ الجوائب ١٣٠٢هـ: ٥١، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، روخس ١٨٨٢م: ١٣٧، المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرينِ، الأميرية، القاهرة ١٩٥٤م: ١٥١، والأعلام ١٩٧/١، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٦/١، وفي بعض المراجع المكتوبة باللغة الإسبانية، ومنها:

Notas Sobre la Poesía Amorosa de Ibn `Abd Rabbihi, José Manuel CONTINENTE FERRER, XXXV, Al-Andalus, 1975: pp. 355-380.

La Poesía Hispanoárabe durante el Califato de Córdoba, JAMES T. MONROE, ESTUDIOS ORIENTALES, VI: 2, 1971: pp: 113-151.

=

ولد ابن عبدربه في العاشر من رمضان سنة ٢٤٦هـ الموافق التاسع والعشرين من تشرين الثاني سنة ٨٦٠ م.

لقد عاش ابن عبدربه الأندلسي فترتي الإمارة والخلافة، ومع أن الخلافة كانت بمثابة إعلان الاستقلالية للأندلس عن التبعية المشرقية تجديدًا في السياسة، التي ألقت بظلالها فيما بعد على سائر ملامح الحياة الأندلسية، ومع ذلك فإن ابن عبدربه كان يهيم في التقليد، ويسير على منوال المشارقة، وقد تجسد ذلك في كثير من فصول حياته وآثاره، وكان للشعر من ذلك كبير جَدّ؛ فها هو «يخلد غزوات الخليفة عبدالرحمن الناصر، وما أفاض على البلاد من أمن بعد حرب، في منظومة مزدوجة حاكى فيها طريقة أبي العتاهية في ذات الأمثال، فوصف الحياة الاجتماعية والحربية وما كان من أخلاق الناصر الكريمة، وهمته الرفيعة، وسخائه الغمر، وحروبه المتواصلة، واستيلائه على المدن، وتدرج في ذكر كل ذلك بحسب السنوات التي ولي فيها حكم الأندلس»[1].

Poesia amorosa, Ibn'Abd Rabbihi Al-Andalusī ,trad. Miguel A. Borrego y Manuel Guillen, Jerez de la Frontera, A Bordo, 1997.

Al-Khassa wa al-'Amma [La élite y el pueblo común] en la historia social de al-Andalus. Una aproximación al estudio de las clases sociales y la movilidad social en la España musulmana (711-1090), Roberto Marín Guzmán, en *Estudios de Asia y África*, vol. XXXIV, núm. 3 (110), 1999, pp: 507.

Poesía cordobesa del siglo I al XVII (antología crítica), Feliciano Delgado León, Publicaciones del Monte de piedad y Caja de ahorros de Córdoba, 1982: p. 49

[1] – الموشحات، إرث الأندلس الثمين، دراسة وشواهد، د. جميل سلطان، طبعة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م: ٨.

ابن عبدربه بين حياة التقليد والتجديد

كان لزامًا أن تنحو الحياة الأندلسية عامة -والأدب الأندلسي مظهر من مظاهرها- منحى المشرق في كثير من مراحل الأندلس الأولى؛ لأنه الأصل، ولأن عرب الأندلس إبان ما بعد الفتح قضوا مراحل تكوينهم المعرفي الأولى في رحاب المشرق المتقد بروح الفتوة في العلم والمعرفة، في حين كانت الأندلس ميدانًا للاضطرابات، وللشعور النفسي بعدم الاستقرار، ولا أدل على ذلك من «استرسال الشعر على ألسنة كثيرين من خلفاء بني أمية ورجالهم في المشرق، واسترساله بغزارة أحيانًا عند أمرائهم وخلفائهم وعدد كبير من رجالهم ونسائهم في الأندلس، وكأن الشعر مما ينتقل من جيل إلى جيل، ويرحل مع أصحابه من بيئة إلى بيئة»[١] يجد فيها ميدانًا فسيحًا يتألق فيه؛ ولذلك بقيت الأندلس ذات نزعة شامية إلى عصور بعيدة عن زمن الفتح المبين، وبقي العرب هم العرب، ولم تزل «نزعتهم عربية في كل شيء حتى في شعرهم»[٢] إلى أن دوّت صيحة الأندلسية في فجاج الفردوس المفقود مؤذنة بميلاد صبح جديد، ولكنه يبقى محملاً بأريج الماضي التليد، لقد كانت الأندلس هبة من هبات الشرق الإسلامي القوي، فمن البدهي أن تكون جزءًا من تكوينه في كثير من مظاهر الحياة، يذكي ذلك الأصولُ المشرقية لكثير من الفاتحين، والعلاقة الوطيدة فيما بعد الفتح مع المشرق حتى في البناء السياسي إلى سنة ١٣٨هـ، والرحلات المتواصلة بين المشرق والأندلس، والحج والعمرة، ونهم

---

[١] - التقاليد الشامية في الديار الأندلسية، محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م: ٦٠

[٢] - حضارة العرب في الأندلس، عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٤١هـ/١٩٢٣م: ١٩٤.

الأندلس للمشرق بدينه وعلمه وسياسته وقوته العسكرية، والتعلق بأستاره في السراء والضراء، والغنى والفقر، والخوف والطمأنينة، والورع والغناء؛ إذ كانت القوافل من الأندلس وإليها، قوافل العلم والتجارة والفن والطرب، فكانت هذه كلها عوامل تدعم وترسخ من مشرقية الحياة الأندلسية في باديء الأمر.

بل إن النتاج العلمي والأدبي في تلك المرحلة وفيما بعدها أيضًا كان يستند على الروح المشرقية في كثير من فصوله، ويشهد على ذلك كتاب العقد الفريد لابن عبدربه، والنماذج الشعرية العديدة؛ فـ«لو أغمضنا أعيننا وجهلنا قائل القصيدة أهو مشرقي أم أندلسي لم نكد نحكم حكمًا صحيحًا جازمًا على الشاعر، أغربي هو أم شرقي»[1] والشواهد على ذلك كثيرة أيضًا في منجزات الأندلس العلمية في التفسير والحديث والفلسفة والنحو والصرف واللغة؛ حتى أنكر ذلك ابن بسام الشنتريني في مقدمة ذخيرته، رغم أنه أيضًا يقرّ بتأثره بيتيمة الثعالبي، كما تظهر بصمات المشرق جلية من خلال استناده على نماذج من شعر المشارقة ونثرهم، في تتبعه لمعانيهم، ولا غرابة في ذلك فقد كانت روح المشرق تجري في شرايين الأندلس، حتى إن هنالك من الشعراء من كان يتسمى أو يتلقب بأسماء وألقاب مشرقية، أو ينقل له الراوية خيالاً حوارًا بينه وبين شاعر مشرقي كما ظهر في التوابع والزوابع.

إن شعراء الأندلس كانوا في أول الأمر يتعلقون بالمشرق، فهو مشرق اللغة والشعر؛ فكانوا يعنون بدراسة الشعر الجاهلي دراسة أثرية، ولكنه –على رأي غارثيّا غوميث– «لم يكن له في نفوسهم أثر فعال، وكذلك المحدثون لم يكن لهم عند شعراء الأندلس أثر بعيد، فيما خلا بدوات نلمحها بين الحين

---

[1] – الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، محمد رجب البيومي، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م: ١١.

والحين، ونلاحظها في الناحية الجمالية التي ظهرت مع الشعر القديم المحدث؛ وعلة ذلك أنه في الوقت الذي ظهر فيه شعر جديد بهذا الاسم في الأندلس، كان الشعر القديم المحدث في أوجه في المشرق»[١].

لا يمكننا القطع بتقليد ابن عبدربه أو تجديده إلا بدراسة مستفيضة لنتاجه الشعري والنثري، وعلى الرغم من أن ثمة ما يوحي بتجديده في جوانب فهناك ما يجزم بتقليده في جوانب أُخَر، يتجلّى ذلك بوضوح إذا تناولنا خمرياته في صباه، والتي ترسم ملامح المدرسة الحديثة التي من أشهر روادها المشارقة أبو نواس، ولعل هذا ما جعل كثيرًا من الدارسين والمدوّنين الإسبان[٢] يعزوه إلى المدرسة الحديثة أو التجديدية في الشعر، ولو أمعنا النظر لأضفنا إلى ذلك زهده وتوبته في آخر حياته؛ مما يرسخ –لمن أراد الجزم بتجديده– هذه الفكرة، والتي نشأت على يدي أبي العتاهية في المشرق العربي المجيد، ويتمثل ذلك ظاهرًا في «ممحصاته» التي قالها في آخر حياته، من جانب آخر فإن من يستأنس إلى الرأي بأن لابن عبدربه إسهامًا في تأليف الموشحات يتأكد لديه القطع بأنه شاعر أندلسي محدث؛ لما للموشحات من حكم قاطع بجدّتها وحداثتها في ذلك العصر، وفي المقابل فإن لابن عبدربه من النماذج الشعرية وما فيها من ملامح تقليدية ما يسارع إلى الحكم بتقليديته، ولعل

---

[١] – تاريخ الفكر الأندلسي. آنخل جنثاليث بالنثيا، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية– القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ٦٢.

[2] – ESTUDIOS ORIENTALES VI: 2, 1971, La poesía Hispanoárabe durante el Califato de Córdoba. Teoría y práctica, JAMES T. Monroe: 114, Ímagenes poéticas Hispano-Musulmana, Wilhelm Hoenerbach: 148, كما يمكن الاطلاع أيضًا على المدونات في موقع موسوعة ويكيبيديا: http://en.wikipedia.org/wiki/Ibn_Abd_Rabbih.

التضمين والاقتباس دوال على من ارتأى هذه الوجهة، ولكن الفيصل في ذلك الاستقراءُ والتحليل والتعليل لنتاجه الأدبي منظومًا كان أم منثورًا، وليس المجال في هذه الدراسة معنيًّا بهذه الجوانب قدر عنايته بالتضمين، ولكن ليس من المستحسن المرور العابر على هذه السكة دون الإشارة إلى جانب من حياته الشعرية المحاطة بتأثيرات اجتماعية وسياسية وأدبية وثقافية أثْرت وأثّرت في ملامح النتاج الأدبي لشاعرنا.

عاش أن ابن عبدربه أكثر من ثلث حياته في عصر الأمير (الخليفة) عبدالرحمن الناصر، الذي أعلن استقلالية الأندلس، وصرم تبعيتها السياسية بالمشرق رسميًا، رغم أنها كانت من منظور سياسي كذلك، لكن إعلان الخلافة وإمرة المؤمنين سنة ٣١٦هـ[1] ألقى بظلاله على الروح الأندلسية عامة، والأدب نفَسٌ من هذه الروح الزكية، وكان ذلك في السنوات الأخيرة من حياة ابن

---

[1] – لأسباب متعددة أعلن عبدالرحمن الناصر الأموي الخلافة وتلقب بأمير المؤمنين، منها: ضعف الدولة العباسية في المشرق، وسيطرة الأتراك على الخليفة، ومنها قيام الخلافة الفاطمية في إفريقية المتاخمة للأندلس ينظر بعض ذلك في: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ٦٨٢/١.

تناول المؤرخون هذا الحدث الكبير، الذي قام به عبدالرحمن الناصر، وما كان له من مكانة في الأندلس، وقد تغنى الشعراء بتلك المكانة، فـ (في يوم ولايته قال أحمد بن عبدربه:

بدا الهلال جديدًا والملك غض جديدُ
يا نعمة الله زيدي فما عليك مزيدُ)

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٨٣ م: ١٥٧/٢

عبدربه المليئة بالتجارب العظام، والأحداث الجسام، التي يعزّ على سنوات معدودة أن تمحو ما نقشته عقود من عمره المديد، لا سيما وقد اختطّ منهجه في الشعر والنثر، ضاربًا بوتد ترحّله في كبد التجارب التي رسمت شخصيته المتعلقة بالقديم، والتي تميز بها "عقده" الذي توشّى بالحلل المشرقية الزاهية الباهية.

إن "العقد" الذي صاغه ابن عبدربه من مواد مشرقية يفضي إلى إحساس صائغه بالذوق المشرقي من جهة، وبالذائقة الأندلسية التقليدية من جهة أخرى، ولا نستطيع أن نستخلص من مواده التي تكوّن منها إلا الوفاء للمشرق العربي، هذا الوفاء الذي نؤوله من ناحية بالتراث المشرقي التليد، ومن ناحية أخرى بالإرث الأندلسي الجديد؛ الجديد لا لذاته وإنما للبيئة التقليدية الأندلسية التي زوحمت بالثقافات الأوروبية القديمة، والتي رأت في قديم المشرق العربي جديدًا لم تعهده من قبل، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن العرب –وإن نأت عصورهم عن الفتح– يشعرون بالاعتزاز بهويتهم وخلفيتهم الدينية والثقافية، ويشعرون –إضافة إلى ذلك– بناقوس الخطر الذي كان –أحيانًا– يطغى على أصوات الأذان، حتى قال عبدالله بن الفرج اليحصبي" ابن العسّال"[١]:

---

[١] – وردت الأبيات بروايات مختلفة في: وفيات الأعيان: ٢٨/٥، والمقتطف من أزهار الطرف، علي بن موسى بن سعيد، أبو الحسن الأندلسي، نشر شركة أمل القاهرة، ط. ١٤٢٥هـ: ١٠، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقّري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، لجنة التأليف والنشر بالقاهرة: ٤٦/١، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقّري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧: ٣٥٢/٤

يا أهل أندلسٍ حثّوا مطيّكمُ فما المقام بها إلا من الغلطِ
الثوب يُنسَل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسلاً من الوسطِ
من جاور الشر لا يأمنْ بوائقه كيف الحياة مع الحيات في سفطِ

ينبغي –في تصوري– أن نستلهم أثناء الحديث عن التجديد والتقليد في الأندلس عامة الفصولَ التي شهدتها من الصراع والهدوء، والثقة والخوف، والهجوم والدفاع، والتمدد والانحسار، والنصر والانكسار، وأن نستلهم ذلك كذلك في شعراء شهدوا مراحل من تلك الفصول، وتفاصيل داخل كل فصل منها، ومن ذلك: الأحداث السياسية في إطار الحياة الداخلية للمجتمع الأندلسي، وما في ذلك من تفاصيل تكوّن في مجملها إضافات ذات قيمة إيجابية أو سلبية –بحسب الأحوال– في الفصول الكبرى التي شهدها الفردوس المفقود منذ بيارق الانتصار المرفوعة، إلى أذيال الانحسار المجرورة..

لم يكن ابن عبدربه بمنأى من تلك الأحداث التي كانت ذات سمة بارزة في نتاجه الشعري والنثري، ومع أنه عاصر في أواخر حياته عصر الاستقلالية المتمثل في تسمية الأمير عبدالرحمن الناصر لدين الله بخليفة المسلمين سنة ٣١٦هـ وما تبع ذلك من تغيّرات نفسية وثقافية في المجتمع الأندلسي – إلا أن نتاج ابن عبدربه لم يحفل بهذه المرحلة كثيرًا على الصعيد التجديدي الذي لم ينل حظوة لديه؛ لتأخر المرحلة من ناحية، ولأنها تحتاج إلى خلفية زمنية حتى تترسخ جذورها في ثرى الأندلس الهائم بالمشرق لأصوله، ولحداثة الارتباط به، والتعلق بمكة قبلة للدين، وطيبة والقدس مأوى للقداسة، وبغداد والشام واليمن والفسطاط مهوى للعلم والمعرفة، وللتوجس من الجار المتربص الذي لا يرقب في أندلسيٍّ إلا ولا ذمة، مسلمًا كان أم مستأمنًا أم من أهل الذمة.

إذن، لم تكن الفترة الزمنية كفيلة ببلورة الاتجاه الأندلسي الجديد واستيعابه من ناحية، ولم تكن الأمثلة التي ساقها ابن عبدربه في عقده من تأليفه كافية للاستشهاد بها كروح تجديدية من ناحية أخرى، ففيها –بحد ذاتها– دوال على المنهج الذي سار عليه، وأوى في آثاره الأدبية إليه.

لقد كان الكثير من المعطيات تدعم توجه ابن عبدربه الأندلسي نحو المشرق العربي، ولعل في الممحصات التي قالها في آخر حياته تمحيصًا لشعر قاله في لهوه وصباه، دليلاً على حبه للمعارضة الشعرية التي اتسم بها شعره، وهي معارضة أشرب بها ابن عبدربه؛ فهو كثير المعارضة لشعراء المشرق، يتناول قصائدهم ويعارضها «حتى إنه حين شبع من معارضة الآخرين أخذ يعارض نفسه بالممحصات»[١].

كذلك فإن ملاً من المهتمين بالأدب الأندلسي عامة وبالموشحات على سبيل الخصوص أوردوا الحديث عن إسهامات ابن عبدربه الأندلسي في نشأة الموشحات، والتي لم يرد منها شيء في "عقده" الفريد، ولا في ديوانه المجموع، وكان إسقاط ذلك من آثاره، ونسبة تأليف عدد من الموشحات إليه مثار جدل بين الدارسين لهذا الفن الأندلسي، ولو قُدّر لنا أن نطلع على نماذج من موشحاته –إن صحت نسبتها إليها– لربما أسهم ذلك في حسم جدلية التجديد والتقليد في شعر ابن عبدربه، وإنما تظل تلك آراء خالية من النموذج الذي يبنى عليه الحكم، ومنه تنطلق الدراسة والتحليل والتعليل، وبما أننا نفتقر إلى أدنى أنموذج من النص الموشحي المنسوب إلى ابن عبدربه، ويبقى الرأي خلوًا من الشاهد والدليل، فبالتالي إن الرأي بأن له موشحات لا يحسم الحديث عن المنهج التجديدي والتقليدي عنده حتى يسكن النقع المثار في هذا

---

[١] – تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس: ١٥٠

المضمار، ومع هذا التوجه المنطقي إلا أنه لا ينبغي القطع بصحته؛ لعدم وجود نماذج عليه، فإن القطع بعدمه مناصف للجزم به، لاسيما ونحن نشير إلى حقبة بدايات الموشح التي لا تبعد كثيرًا عن مراحل حياة ابن عبدربه، وأيًّا كانت النتيجة فشاعرنا إما أسهم في هذا الفن الجديد كتابة وتدوينًا؛ بحكم تحرره في مستهل حياته، وإما سماعًا؛ بفرضية المجتمع الأندلسي المنفتح المختلط بغيره من الأمم والثقافات؛ مما ساعد بشكل كبير في اكتشاف الموشح الأندلسي، الذي جعل «أصداء هذه الاكتشافات مدوية على المستوى العلمي في العالم كله، وقد اشترك في مناقشة هذه المباحث الجديدة وتقييمها لغويون من أمثال: (مينيندث بيدال، فرينجس، سبيتثر، رونكاجليا إلى آخر القائمة)...»[1]. لقد كان هذا الفن الأندلسي «المفتاح العجيب الذي يكشف لنا عن سر تكوين القوالب التي صبت فيها الطرز الشعرية التي ظهرت في العالم المتحضر إبان العصر الوسيط» متجاوزة حدودها الإقليمية شأنها في ذلك شأن كثير من العلوم التي انتقلت «من بلاد الإغريق إلى روما، ومن روما إلى بيزنطة، ومن هذه إلى فارس وبغداد والأندلس، ومن ثم إلى بقية أوروبا»[2] بل والعالم بأسره، باختلاف لغاته وثقافاته، وتعدد أعراقه وأنساقه.

لاشك أن من صنع موشحًا من الأندلسيين قد ولج صرح التجديد من أفسح بوّاباته؛ لما لهذا الفنّ من منزل ومنزلة في عالم التجديد في النَّظْم العربي؛ وذلك أن ثمة من يزعم –وخاصة من المستعربين– أن موشحات

---

[1] – فصول من الأندلس في الأدب والنقد والتاريخ، مجموعة من الكُتَّاب، ترجمها: أبو همام، عبداللطيف عبدالحليم: ٩٧.

[2] – تاريخ الفكر الأندلسي. آنخل جنثاليث بالنثيا: ٦١٣و٦١٤.

الأندلس استلهمت بعضها وخاصة الخرجات منها[١] من اللغة الرومانثية، بينما يرى بعض الباحثين «أن أصل الموشح أندلسي محلي، ويذهب البعض الآخر إلى أنه جليقي، ويذهب نفر ثالث إلى أن أصله البعيد روماني (Románica). بل قال بعضهم: إن الموشحات أتت الأندلس من بغداد، وأن أصلها يلتمس في الرباعيات العربية الفارسية، وأخيرًا حاول ميلياس بيليكروسا (Milios Vilicrosa) أن يجد علاقة ما بين الموشحة والزجل من ناحية، والفن الشعري العبري المعروف بالبزمون (pizmon) والتسبيحات اللاتينية التي يرددها جمهور المصلين عقب كل فقرة من فقرات الترتيل الديني (Respons Aria Latino) وهي في الغالب آيات من الكتاب المقدس»[٢] من وجهة نظره، في

---

[١] – تناول كثير من المستشرقين الحديث عن الخرجات مستقلة، يُنظر:

- De la jarcha a la moaxaja, Emilio García Gómez, Historia y crítica de la literatura española. Vol. 1, Tomo 1, 1979 , pags. 62-64

- Las jarchas romances y la crítica árabe moderna, Consuelo López-Morillas, AIH. Actas VIII. 1983. Centro Virtual Cervantes.

- Aproximación cuantitativa al estudio de las jarchas en muwaxahas árabes, Francisco Marcos Marín, La corónica: A Journal of Medieval Hispanic Languages, Literatures & Cultures, Vol. 24, Nº 1, 1995 , pags. 124-152

- El bilingüismo de una jarcha mozárabe, Gerold Hilty, Literatura y bilingüismo, 1993 , pags. 101-114

- Las jarchas mozárabes: forma y significado, Alvaro Galmés de Fuentes, Barcelona, D.L. 1994.

[٢] – تاريخ الفكر الأندلسي: ١٥٤–١٥٥.

=

حين يرى سواه أن الموشحات فن شعبي تأثر فيها الأندلسيون بالأغاني العامية السائدة قبل الفتح الإسلامي، إضافة إلى انتشار أرباب التروبادور المتشابه إلى حدما مع الموشحات[1]، ثم شقت طريقها إلى الثقافة الأوروبية كما رآها خوان ريبيرا وغيره من المستعربين المهتمين بها[2].

إن الشواهد لمتتبعها تؤكد أن ابن عبدربه سار على منهج يتضح جليًّا في "عقده" و"ديوانه" المجموع، وهو في ثنايا آثاره يتتبع ملامح القديم، سواء أكان ذلك لغيره أم له في صباه، والذي يتمثل في تعلقه الواضح بالتضمين من أشعار سابقة له سواء أكانت له أم لغيره، ذلك التعلق الذي لا يخفى على قارئيه، والمتتلمذين عليه. وأيًّا كانت الدواعي والبواعث التي استنهضت شاعرنا للإكثار من التضمين فإن الظاهرة بحد ذاتها جديرة بالدراسة والتناول من جوانب عديدة، أتناول منها جانب المواءمة بين النص الحاضر والنص المستحضر، بين النص المستضيف والنص الضيف، ومدى توافق أو تباين النصين أو المكونين للنص الجديد المتألف من مواد حاضرة بدهيًّا أو إكراهًا، ومواد مستحضرة صنعة أو تصنعًا.

LOS POETAS CLÁSICOS JUDEO-ANDALUSÍES EN TRES *AGGADOT* JUDEOESPAÑOLAS, María José Cano, BIBLID [0544-408X(2002) 51: 193, 194, 197.

[1] – ينظر: الزجل في الأندلس، د. عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة، جامعة الدول العربية. الرسالة ١٩٥٧م: ٥٠-٥١

[2] – تاريخ الفكر الأندلسي: ٦١٣و٦١٤.

المبحث الأول:

مظاهر الاقتباس والتضمين عند ابن عبدربه

ذكر الحميدي[1] أن لابن عبدربه الأندلسي ديوانًا كبيرًا رآه بعينه، يتألف من نيف وعشرين جزءًا، وكان معظمه مكتوبًا بخط يده، وقد أهداه للحكم المستنصر الأموي، ولكنه ضاع مع ما ضاع من تراثنا الأندلسي المجيد، لذلك فإن الحكم فيما يتعلق بأية دراسة فنية عامة، والاقتباس والتضمين خاصة مبني على قراءة الديوان المطبوع الذي بين أيدينا.

إن المتمعّن في الديوان المطبوع لا يجد فيه كثرة اقتباس مقارنة بالزخم الوافر من التضمين، ولعل السبب يعود في ذلك إلى أن السواد الأعظم والجم الغفير من تضمين ابن عبدربه كان في مقطعاته العروضية، وأما الاقتباس فمنثور داخل البيت الشعري من غير أن يكون له موضع محدد، تبعًا لما يمليه الوزن على الشاعر؛ فنجد الاقتباس في أول البيت ودرجه وآخره، ونجد فيه اقتباسًا بنص الآية الكريمة دون تغيير، ويلاحَظ مثل ذلك في أبياته التي قال فيها[2]:

والحُرّ لا يكتفي من نيل مكرمة حتى يروم التي من دونها العطبُ

يسعى به أمل من دونه أجلٌ إن كفه رهب يستدعه رغب

لذاك ما سال موسى ربه أرني أنظر إليك وفي تسآله عجب

---

[1] – ينظر جذوة المقتبس: ١٠١.

[2] – شعر ابن عبدربه الأندلسي، أحمد بن محمد، تحقيق: محمد أديب عبدالواحد جمران، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ٦٢

فيتبين المتلقي اقتباس الشاعر في البيت الثالث من قوله تعالى: «قال رب أرني أنظر إليك»[١] وذلك عندما اقتبسها في قوله: «لذاك ما سال موسى ربه أرني أنظر إليك..»

ويأتي الاقتباس بتغيير يسير، أو تقديم وتأخير، ولكنه واضح من القراءة أو الاستماع للنص بما فيه الاقتباس، وذلك نحو قوله[٢]:

ما أنتم شيء ولا علمكم قد ضعف المطلوب والطالب[٣]

تغالبون الله في حكمه والله لا يغلبه غالب

ففي البيت الأول اقتباس من قول المولى –عزوجل–: «ضعف الطالب والمطلوب»[٤] وفي البيت الذي يليه اقتباس من قوله سبحانه: «والله غالب على أمره»[٥].

وإذا كان الاقتباس غير كثير مقارنة بالتضمين، فإن الناظر في نتاج ابن عبدربه الشعري يجد فيه إكثارًا من التضمين في صورة ملفتة لاهتمام القارئ، وقد ورد في القصائد الشعرية التي حواها الديوان، والتي وردت كذلك في "العقد"، متضمنة نماذج ثرة من التضمين نثرًا أو شعرًا، ومنه السواد الأعظم، مع ملاحظة أن نماذج التضمين التي وردت في ديوانه أو عقده قد اتخذت –من ناحية أصولها– مظهرين لا تخرج عنهما:

---

[١] – سورة الأعراف: ١٤٣

[٢] – شعر ابن عبدربه ٦٥

[٣] – مأخوذ من قوله تعالى: (ضعف الطالب والمطلوب) الحج: ٧٣.

[٤] – سورة الحج: ٧٣.

[٥] – سورة يوسف: ٢١.

التضمين من أقوال السابقين أو ما جرى مجرى المثل:

أعني بأقوال السابقين ما أعجب به ابن عبدربه فاتخذه مادة تشكل مع مواد من شعره جزءًا لا يتجزأ من قصيدته الشعرية، في إشارة إلى تضمينه حينًا، وإهمال للإشارة إليه أحيانًا.

عمد ابن عبدربه الأندلسي من خلال إعجابه بأقوال وحكم وأمثال مأثورة، إلى استدعائها في نصوصه الشعرية؛ فضمّن قصائده بتلك ، وعلى هذا جرى في كثير من قصائده التي ورد بها التضمين.

فمن التضمين الذي ورد في شعر ابن عبدربه من نثر السابقين قوله[1]:

يا أيها المشغوف بالحبّ التّعبْ
كم أنت في تقريب ما لا يقتربْ
دع ودّ من لا يرعوي إذا غضبْ
ومن إذا عاتبته يوماً عتبْ
"إنك لا تجني من الشوك العنب"[2]

ولعلي أجد فيما جرى مجرى المثل من الأبيات التي ضمنها ابن عبدربه مجالاً في هذا المبحث، ومن ذلك تضمينه لأبيات شعرية اشتملت أمثالاً أو جرت على ألسنة الناس مجرى الأمثال، ومن ذلك قول ابن عبدربه في أبيات له مضمنًا[3]:

---

[1] – ورد التضمين لهذا المثل مرتين عند ابن عبدربه في العقد الفريد: ٣٠٧/٦، ٣٣٤

[2] – من كلام أكثم بن صيفي، ورد في: الأمثال، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م: ٢٦٤، ٢٦٩–٢٧٠، وشعر ابن عبدربه: ٥٨

[3] – الأبيات في العقد ٣٢٢/٦، وشعر ابن عبدربه ٢٥٩

لحال عن العهد لما أحالا وزال الأحبّة عنه فزالا
محل تحلّ عراها السّحابُ وتحكي الجنوب عليه الشّمالا
فيا صاح هذا مقام المحبّ وربع الحبيب فحطّ الرّحالا
سل الرّبع عن ساكنيه فإنّي خرست فما أستطيع السّؤالا
ولا تعجلنّي هداك المليك فإنّ لكلّ مقام مقالا"[١]

ومما جرى مجرى المثل أيضًا قوله[٢]:

وحاملة راحاً على راحة اليد
موردّة تسعى بلون مورّد
على ياسمين كاللجين ونرجس
كأقراط درّ في قضيب زبرجد
بتلك وهذي فاله ليلك كلّه
وعنها فسل لا تسأل الناس عن غد
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد"[٣]

ومنه كذلك قوله[٤]:

وروضة ورد حفّ بالسوسن الغضّ

---

[١] – البيت للحطيئة، وهو في ديوانه: ٢٢٢، وروايته: (تحنن علي هداك...).

[٢] – شعر ابن عبدربه ١١٨، والعقد ٦/٢٩٠-٢٩١

[٣] – البيت في ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م: ٨٩

[٤] – الأبيات في العقد ٦/٢٩٠، وشعر ابن عبدربه ١٩٤

تحلّت بلون السّام والذهب المحض

رأيت بها بدراً على الأرض ماشياً

ولم أرَ بدراً قطّ يمشي على الأرض

إلى مثله فلتصب إن كنت صابياً

فقد كاد منه البعض يصبو إلى البعض

وكُلْ وردَ خدّيه ورمّان صدره

بمصّ على مص وعضّ على عضّ

وقل للذي أفنى الفؤاد بحبّه

على أنه يجزي المحبة بالبغض:

•أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا

حنانيك بعض الشّرّ أهون من بعض"[1]

[1] – البيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه: ١٧٢.

التضمين من أشعار السابقين:

وأعني بذلك ما أُعجب به ابن عبدربه من أشعار سابقة فاتخذ منها مادة لتتشكّل في نصه المطروح كجزء منه سواء أشار إليها أم لم يشر، ومن ذلك تضمينه في قوله[١]:

أيقتلني دائي وأنت طبيبي

قريب وهل من لا يرى بقريب

لئن خنت عهدي إنني غير خائن

وأيّ محبّ خان عهد حبيب

وساحبة فضل الذّيول كأنها

قضيب من الرّيحان فوق كثيب

إذا ما بدت من خدرها قال صاحبي

أطعني وخذ من وصلها بنصيب

"وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه

وما كل مؤت نصحه بلبيب"

---

[١] – شعر ابن عبدربه: ٦٧، والعقد: ٦/٢٩١، وقد ضمن هذا النصَّ البيتَ الأخير، وهو من شعر أبي الأسود الدؤلي في ديوانه تحقيق الشيخ حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٤م: ٩٩، وروي لبشار بن برد، وروي أيضًا لمودود العنبري، وقد فُصّل وفُصِل الخلاف في النسبة إليهما في بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م: ٩٨

ومما أخذه ابن عبدربه وضمّنه في شعره قوله:[1]

عاتب ظلت له عاتبا ... ربّ مطلوب غدا طالبا

من يتب عن حب معشوقه ... لست عن حبّي له تائبا

فالهوى لي قدر غالب ... كيف أعصي القدر الغالبا

ساكن القلب ومن حلّه ... أصبح القلب بكم ذاهبا

"اعلموا أني لكم حافظ ... شاهداً ما عشت أو غائبا"[2]

ومن هذا الباب قوله[3]:

أيا من لام في الحبّ ... ولم يعلم جوى قلبي

ملام الصبّ يغويه ... ولا أغوى من القلب

فأنّى لمت في هند ... محبّاً صادق الحبّ

وهند ما لها شبه ... بشرق لا ولا غرب

---

[1] – الأبيات في شعر ابن عبدربه: ٥٩، والعقد: ٢٩٣/٦.

[2] – التضمين في البيت الأخير كاملاً ولم أهتدِ لقائله، وهو في: العقد: ٣٢٦/٦، كتاب العروض، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ٦٥، والقسطاس في علم العروض، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان، ط٢ المجددة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م: ٧٥، وخزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، ط. ٢٠٠٤م: ٤١٨/١.

[3] – شعر ابن عبدربه: ٧٢، والعقد: ٣٠٤/٦–٣٠٥.

"إلى هند صبا قلبي وهند مثلها يصبي"[١]

فهذا مثال أيضًا على تضمينه البيت الأخير في النص السابق من شاعر سابق له، وعلى هذا النحو سارت معظم نصوصه التي وشّاها بالتضمين.

تضمين ابن عبدربه من قصائده السابقة:

ذهب ابن عبدربه في التضمين أبعد من تضمينه من أقوال وأبيات السابقين؛ فقد ضمّن قصائده شيئًا من شعره في سابق حياته، في صورة تتجلّى في "ديوانه" الشعري و"عقده" الفريد، ومن أدلة إكثاره من التضمين تضمينه لكثيرٍ من أبياته أو أشطره التي قالها في مراحل مبكرة من عمره، تمحيصًا لشعره، وتوبة وإنابة لربه، وعلى هذا جرى المظهر الثاني من مظاهر التضمين في أشعاره، ولكنه بعد التقصي والبحث في ديوانه وعقده قليل، بل نادر، وإن كان من الملاحظ كثرة الممحصات في شعره، وهي على سبيل المعارضة لا التضمين.

ومن تضمين ابن عبدربه من نفسه تضمينه للمصرع الأول من قصيدة قالها في صباه، وبعد أن وخط المشيب في محياه كتب قصيدة على وزنها وقافيتها، وضمّن آخر شطر منها أول شطر من قصيدة له قاله في صبوته[٢]:

---

[١] – البيت لزيد وقيل: يزيد بن ضبة، وهو في لسان العرب، لابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: (صبا)، نوادر المخطوطات، عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م: ٨٩/١، وهو دون نسبة في شعر ابن عبدربه: ٧٢، والعقد: ٣٠/٦

[٢] – الأبيات في شعر ابن عبدربه ١٥٢

يا قادراً ليس يعفو حين يقتدر

ولا يقضّى له من عيشه وطرُ

عاين بقلبك إن العين غافلة

عن الحقيقة واعلم أنها سقرُ

سوداء تزفر من غيظ إذا سعرت

للظالمين فلا تبقي ولا تذرُ

إن الذين اشتروا دنيًا بآخرة

وشقوة بنعيم ساء ما تجروا

يا من تلهّى وشيب الرأس يندبه

ماذا الذي بعد شيب الرأس تنتظرُ

لو لم يكن لك غير الموت موعظة

لكان فيه عن اللذات مزدجرُ

أنت المقول له ما قلتُ مبتدئًا:

"هلا ابتكرت لبين أنت مبتكرُ"

فهذه الأبيات قالها ابن عبدربه يعارض بها مقطوعة له قالها في صباه، وكأنه ندم على ما فيها من لهو، وقد عرف هذا التوجه عنده في آخر حياته توبة وتمحيصًا لما قاله في فترات سابقة من شبابه، وهو ما يعرف

بالممحصات، وقوله: «هلا ابتكرت لبين أنت مبتكرُ» تضمين للبيت الأول من مقطوعته التي قالها في صباه وهي قوله[١]:

هلا ابتكرتَ لبينٍ أنت مبتكر هيهات ! يأبى عليك اللهُ والقدَرُ
مازلتُ أبكي حذار البين ملتهفًا حتى رثى لي فيك الريحُ والمطرُ
يا بردَه من حيا مزنٍ على كبدٍ نيرانها بغليل الشوق تستعرُ
آليت أن لا أرى شمساً ولا قمراً حتى أراك فأنت الشمس والقمرُ

تكرار الاقتباس أو الاستشهاد ببيت التضمين

ورد في ديوان ابن عبدربه اقتباس آية قرآنية في أكثر من موضع، مع تغيير وزن الأبيات وقافيتها، ومن ذلك اقتباس قول المولى عز وجل: «أقتلت نفسًا زكية بغير نفس...» [٢] في مواضع عدة من أبياته، الموضع الأول في قوله[٣]:

قتلت نفساً بغير نفسٍ فكيف تنجو من العذابِ؟

والموضع الثاني في قوله[٤]:

قتلت نفساً بلا نفس وما ذنب بأعظم من سفك الدم

والموضع الثالث في قوله[٥]:

يا مقلة وحشيّة قتلت نفساً بلا نفس ولم تظلم

---

[١] – الأبيات في شعر ابن عبدربه١٥١

[٢] – سورة الكهف: ٧٤.

[٣] – العقد ٢٩٨/٦، وشعر ابن عبدربه ٦٩.

[٤] – العقد ٢٩٧/٦، وشعر ابن عبدربه ٢٨٦.

[٥] – البيت في العقد ٣١٣/٦، وشعر ابن عبدربه: ٢٧٨.

ومن الاقتباس قوله[1]:

خلافة عبدالله حج على الورى فلا رفثٌ في عصره وفسوقُ

فقد اقتبس كثيرًا ألفاظ بيته من قوله تعالى: «فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج»[2].

كذلك فإن الناظر في العقد والديوان يلاحظ أن ابن عبدربه يسوق التضمين في ثنايا أبياته، أو يكرره لكنه من تضمين غيره في المكرر، وقد ورد أحيانًا عنده التضمين لبيت من الشعر أو مثل من الأمثال أكثر من مرة، وفي كل مرة يختلف النص الذي احتوى المادة المضمّنة، سواء أكان ذلك التضمين بيتًا كاملاً أم شطرًا أم بعضه، وبعبارة أدق؛ فإن التكرار ليس للتضمين وإنما مزيد استشهاد ورد مستقلاً دون النص الذي ورد فيه، وعلى هذا سار السواد الأعظم من شواهده التي أوردها، وهذا التكرار وإن كان لا يصب في المعين الذي نغرف منه الآن مباشرة، إلا أنه ملحوظ بشكل كبير في عقد ابن عبدربه، ولم أشأ أن أغفله؛ لوروده، ولم أستسغ الاستفاضة فيه؛ لنأيه عن موضوع حديثنا ولو يسيرًا، وأكتفي على ذلك بشاهد واحد، وإلا فإن الشواهد كثيرة، ومنها قول أكثم بن صيفي: «إنك لا تجني من الشوك العنب»[3] فورد مرة في قول ابن عبدربه[4]:

يا أيها المشغوف بالحبّ التّعبْ

---

[1] – البيت في شعر ابن عبدربه: ٢٣٢.

[2] – سورة البقرة: ١٩٧.

[3] – من كلام أكثم بن صيفي، ورد في: الأمثال للقاسم بن سلاّم: ٢٦٤، ٢٦٩–٢٧٠.

[4] – ورد التضمين لهذا المثل مرتين عند ابن عبدربه في العقد الفريد: ٣٠٧/٦، ٣٣٤

كم أنت في تقريب ما لا يقتربْ
دع ودّ من لا يرعوي إذا غضبْ
ومن إذا عاتبته يوماً عتبْ

"إنك لا تجني من الشوك العنب"[١]

وورد مرة أخرى في منقوله في العقد[٢]:

ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا[٣] "إنك لا تجني من الشوك العنب"

الجمع بين الاقتباس والتضمين في نص واحد

---

[١] – من كلام أكثم بن صيفي، ورد في: الأمثال، لابن سلاّم: ٢٦٤، ٢٦٩–٢٧٠، وشعر ابن عبدربه: ٥٨

[٢] – ٦/٣٣٤.

[٣] – الشطر ورد مستقلاً، وورد صدرًا لبيت منسوب إلى العجاج تعددت رواياته، ومنها:

ما هاج أحزانًا وشجوًا قد شجا من طلل كالأتحمي أنهجا

ينظر: شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م: ٢/٣٠٢، شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ١/١٨٠، تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية: (ب ل ل)

بلغ تعلق ابن عبدربه الأندلسي بالاقتباس والتضمين مبلغًا جعله يقتبس ويضمّن في نص واحد، وقد جمع بينهما في أكثر من موطن، ومن ذلك قوله مقتبسًا في البيت الثاني، ومضمّنًا البيت الأخير[1]:

كآبة الذّلّ في كتابي ونخوة العزّ في جواب

قتلت نفساً بغير نفسٍ فكيف تنجو من العذاب

خلقت من بهجة وطيب إذ خلق الناس من تراب

ولّت حميّاً الشباب عني فلهف نفسي على الشباب

«أصبحت والشيب قد علاني يدعو حثيثًا إلى الخضاب»[2]

اقتبس قول الله سبحانه وتعالى «أقتلت نفسًا زكية بغير نفس...» [3] في البيت الثاني، وضمن البيت الأخير كاملاً.

ومن الجمع بين الاقتباس والتضمين في نص واحد كذلك قوله[4]:

ظالمتي في الهوى لا تظلمي وتصرمي حبل من لم يصرم

أهكذا باطلاً عاقبتني لا يرحم الله من لم يرحم

قتلت نفساً بلا نفس وما ذنب بأعظم من سفك الدم

---

[1] – الأبيات في شعر ابن عبدربه: ٦٩، والعقد: ٢٩٨/٦

[2] – ورد البيت مجهولاً قائله في آخر نص لابن عبدربه الأندلسي تضمينًا، وهو في ديوانه: ٦٩، والعقد: ٢٩٨/٦، والقسطاس في علم العروض، للزمخشري: ٨٣.

[3] – سورة الكهف: ٧٤.

[4] – العقد ٢٩٧/٦، وشعر ابن عبدربه ٢٨٦.

لمثل هذا بكت عيني ولا للمنزل القفر أو للأرسم

• ماذا وقوفي على رسم عفا مخلولق دارس مستعجم"[١]

وعلى هذا النحو أيضًا اجتمع الاقتباس والتضمين في قوله [٢]:

أنت بما في نفسه أعلم فاحكم بما أحببت أن تحكم

ألحاظه في الحبّ قد هتكت مكتومة والحب لا يكتم

يا مقلة وحشيّة قتلت نفساً بلا نفس ولم تظلم

قالت تسلّيت فقلت لها ما بال قلبي هائم مغرم

• يا أيها الزاري على عمر قد قلت فيه غير ما تعلم"[٣]

---

[١] – نسب البيت إلى الأسود بن يعفر في كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ١١٩/١، وفي اللسان: (خلع)، ونسب إلى المرقش في اللسان (خلق).

[٢] – الأبيات في العقد ٣١٣/٦، وشعر ابن عبدربه: ٢٧٨.

[٣] – البيت مضمن وهو دون نسبة في: إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م١٧١، وتهذيب اللغة، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، واللسان (زرى)، والقسطاس ١٠٩، وشرح ديوان المتنبي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة – بيروت ١٣٠/١، ومفتاح العلوم، السكاكي الخوارزمي الحنفي ، ضبطه =

فالبيت الثالث اقتباس من الآية الكريمة نفسها، التي اقتبسها في النصين السابقين، والبيت الأخير تضمين، فجمع الشاعر بين فني الاقتباس والتضمين في نص شعري واحد.

وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ٥٥٠، وورد منسوبًا إلى كعب الأشقري في تاج العروس (زرى) ومنسوبًا إلى المرقش في العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط:٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م: ١٧٢/١-١٧٣.

المبحث الثاني:
نوع المادّة المضمّنة

المادة النثرية

وأقصد بالمادة النثرية المضمَّنة ما كان في أول أمره نثرًا؛ كأن يكون مثلاً أو حكمة، أو قولاً شهيرًا، فسار على ألسنة الناس كالمثل السائر. ليس التضمين لمواد نثرية بكثيرٍ في شعر ابن عبدربه، ولكن التضمين مما جرى مجرى المثل، وشاع في حديث الناس واستشهاداتهم وتمثلهم، أكثرُ مما كان نثرًا محضًا، ومن ذلك قوله مضمنًا[1]:

يا أيها المشغوف بالحبّ التّعبْ

كم أنت في تقريب ما لا يقتربْ

دع ودّ من لا يرعوي إذا غضبْ

ومن إذا عاتبته يوماً عتبْ

"إنك لا تجني من الشوك العنب"[2]

وقد ورد الحديث عن ذلك فيما ضمنه من أقوال السابقين، ومنه أيضًا قوله[3]:

صبّرني لما صار ... ولم أكن بالصّبّار

وقال لي باستعبار ... "صبراً بني عبد الدار"[1]

---

[1] – ورد التضمين لهذا المثل مرتين عند ابن عبدربه في العقد الفريد: ٣٠٧/٦، ٣٣٤

[2] – من كلام أكثم بن صيفي، ورد في: الأمثال، لابن سلاّم: ٢٦٤، ٢٦٩–٢٧٠، وشعر ابن عبدربه: ٥٨

[3] – العقد: ٣١٥/٦–٣١٦، وشعر ابن عبدربه ١٤٢.

ولكن الأغلب الأعم عمد ابن عبدربه أن تكون المادة المضمّنة شعرية كما سيأتي.

المادة الشعرية

بالنظر في جملة النصوص التي ورد فيها التضمين عند ابن عبدربه يجد أن المادة الشعرية التي يضمّنها نصوصه أغلبها عبارة عن "بيتٍ شعريٍّ" كامل، ومن ذلك أمثلةٌ سابقة كثيرة في ثنايا هذه الورقات، ومنه كذلك قوله[٢]:

أياويح نفسي وويل امّها لما لقيت من جوى همّها

فديت التي قتلت مهجتي ولم تتّق الله في دمِّها

أغضّ الجفون إذا ما بدت وأكني إذا قيل لي سمّها

---

[١] – ينسب إلى هند بنت عتبة تخاطب بني عبد الدار أصحاب لواء المشركين في أحد، وهو باختلاف يسير في السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م:٢/٦٧-٦٨، وورد دون نسبة في العمدة: ١٨٤/١، والقسطاس في علم العروض١١٣، والمحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠: ١١٦/٧، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، وآخرينِ، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م: ٣٠٤٧/٥، ولسان العرب: (ر ج ز) و(ب ك ا).

[٢] – الأبيات في العقد ٣٢٣/٦، وشعر ابن عبدربه ٢٩٢.

أداري العيون وأخشى الرّقيب وأرصد غفلة قيّمها

«سبتني بجيدٍ وخدٍّ ونحر غداة رمتني بأسهمها»[1]

وعلى هذا النوع سار السواد الأعظم من تضمين ابن عبدربه، ويأتي في ذلك الترتيب المنطقي للبيت الشعري؛ بحيث يورد صدره ثم عجزه، ولكن ثمة نماذج قلب فيها الترتيب؛ وذلك مستساغ لسببين: الأول أن البيت مصرّع، تساوى فيه روي عروضه وضربه، والسبب الثاني أنه من بحر الرجز، والذي يجوز فيه ما لا يجوز في غيره، وخاصة في قوافيه، ومن ذلك قوله[2]**:**

بياض شيب قد نصعْ رقعته فما ارتقعْ

إذا رأى البيض انقمعْ ما بين يأس وطمعْ

لله أيّام النّخعْ يا ليتني فيها جذعْ

أخبّ فيها وأضعْ[3]

وإلى جانب تضمين بيت من الشعر ورد عن ابن عبدربه تضمين شطر واحد، وغالبًا ما يكون العجز، فمن التضمين لشطر واحد قوله[1]**:**

---

[1] – البيت مضمن، ولم أقف على قائله، ورد دون نسبة في العقد ٣٢٣/٦و ٣٤٣، وشعر ابن عبدربه ٢٩٢.

[2] – شعر ابن عبدربه: ٢٠٥، والعقد: ٣٠٧/٦/١

[3] – نُسب الأخيران إلى دريد بن الصمة في العقد: ١٢٠/١، وفي اللسان (وضع)، ونسبهما إلى ورقة بن نوفل في (جذع). وانظرهما تضمينًا في شعر ابن عبدربه: ٢٠٥.

صبّرني لما صار ولم أكن بالصّبّار

وقال لي باستعبار •صبراً بني عبد الدار"[٢]

ومن هذا النوع قوله مضمنًا شطرًا من بيت شعري[٣]:

ويحي قتيلاً ما له من عقلِ

بشادن يهتزّ مثل النّصل

مكحّل ما مسّه من كحل

لا تعذلاني إنني في شغل

•يا صاحبي رحلي أقلّا عذلي"[٤]

---

[١] – العقد: ٦/٣١٥–٣١٦، وشعر ابن عبدربه ١٤٢.

[٢] – ينسب إلى هند بنت عتبة تخاطب بني عبد الدار أصحاب لواء المشركين في أحد، وهو باختلاف يسير في السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٦٧–٦٨، وورد دون نسبة في العمدة: ١/١٨٤، والقسطاس في علم العروض١١٣، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: ٧/١١٦، شمس العلوم: ٥/٣٠٤٧، ولسان العرب: (ر ج ز) و(ب ك ا).

[٣] – الأبيات في العقد ٦/٣١٤، وشعر ابن عبدربه ٢٧٠.

[٤] – البيت من غير نسبة في القسطاس ١١٠، ومفتاح العلوم للسكاكي: ٥٤٤و ٥٥٠. ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م: ٥٤٤و٥٥٠، والمعيار: ٧٣، وقد ورد شطرًا واحدًا، ووهم عبدالعزيز عتيق فأورده بيتًا هذا عجزه، وصدره من شعر ابن عبدربه السابق، علم العروض والقافية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت: ٩١.

ولم يقتصر التضمين عند ابن عبدربه على بيت من الشعر أو صدره أو عجزه؛ بل ضمّن بعضًا من الشطر الشعري بحذف جزء منه، وتضمين جزء آخر، ومنه قوله[1]:

معذّبتي رفقًا بقلب معذبِ

وإن كان يرضيك العذاب فعذّبي

لعمري لقد باعدت غير مباعدٍ

كما أنني قرّبت غير مقرّب

بنفسي بدر أخمد البدر نوره

وشمس متى تبدو إلى الشمس تغرب

لو أنّ امرأ القيس بن حجر بدت له

لما قال: "مرا بي على أمّ جندب"

فالتضمين في هذا النص مقتصر على جزء من الشطر الثاني من البيت الأخير، وهو قوله: «مرا بي على أمّ جندب» من مطلع قصيدة لامرئ القيس[2].

ومنه أيضًا قوله[1]:

---

[1] – النص في العقد: ٣٥٧/٦، وشعر ابن عبدربه: ٦٦، وقد ورد في نهاية هذا النص وبالتحديد في البيت الأخير تضمين لجزء من بيت لامريء القيس، ونصه:

خليلي مرا بي على أم جندب نقض لبانات الفؤاد المعذب.

ديوان امرِئ القيس، لامْرئ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: ٧٤، وشعر ابن عبدربه: ٦٦، والعقد: ٣٥٧/٦

[2] – ديوان امرئ القيس: ٧٤

أو قلت بحراً وجدت البحر منحسراً وبحر جودك ممتد العبابينِ

أو قلت بدراً رأيت البدر منتقصاً فقلت: (شتان ما بين اليزيدين)[٢]

التضمين بمواد شعرية غير شائعة

تتحلى قصائد ابن عبدربه بعقد من التضمين من أبيات شعرية سابقة، ومنها ما سار على ألسنة العرب؛ فيورده الشاعر من غير إشارة إلى أنه ضمنه؛ لأنه شائع عند الناس، وعلى هذا سار الكثير من التضمين عند ابن عبدربه، ومن شهير الأبيات التي ضمنها ما ورد في قوله[٣]:

يا أيها المشغوف بالحبّ التّعبْ

كم أنت في تقريب ما لا يقتربْ

دع ودّ من لا يرعوي إذا غضبْ

ومن إذا عاتبته يوماً عتبْ

"إنك لا تجني من الشوك العنب"[٤]

---

[١] – شعر ابن عبدربه ٣٠٣

[٢] – من قول ربيعة الرقي في مدح يزيد بن حاتم المهلبي، وذم يزيد بن أسيد السلمي:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

العقد ٢٤١/١و٢٥٨، ١٥٦/٦، شعر ابن عبدربه ٣٠٣.

[٣] – ورد التضمين لهذا المثل مرتين عند ابن عبدربه في العقد الفريد: ٣٠٧/٦، ٣٣٤

[٤] – من كلام أكثم بن صيفي، ورد في: الأمثال، لابن سلاّم: ٢٦٤، ٢٦٩–٢٧٠، وشعر ابن عبدربه: ٥٨

فقوله: «إنك لا تجني من الشوك العنب» لا يخفى ماله من سيرورة في الناس حتى أصبح له صيرورة في شعر ابن عبدربه، وقد أورده من غير إشارة إليه؛ لأنه لا يحتاج إليها، ولا يعتمد عليها، وذلك لأن هذا الشطر جرى في الناس مجرى الأنفاس، وأصبح كالمثل السائر بينهم. وسار على نحو ذلك في كثير من تضمينه، وذلك كقوله[1]:

وحاملة راحاً على راحة اليد

موردّة تسعى بلون مورّد

على ياسمين كاللجين ونرجس

كأقراط درّ في قضيب زبرجد

بتلك وهذي فاله ليلك كلّه

وعنها فسل لا تسأل الناس عن غد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً

ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد"[2]

فبيت التضمين أشهر من نار على علم، وهو بيت لا يكاد يخلو من ذكره بيت، أورده ابن عبدربه تضمينًا له في شعره دون الإشارة إليه؛ لما له من ذيوع وانتشار.

ولا يزال شاعرنا يضمّن من أقوال السابقين المشهورة المذكورة دون الإشارة إلى قائليها، أو الإيحاء إليها؛ فقد سبق صيتُها صوتَها، ومن هذا الباب أيضًا تضمينه في قوله[1]:

---

[1] – شعر ابن عبدربه ١١٨، والعقد ٦/٢٩٠-٢٩١

[2] – البيت في ديوان طرفة ٨٩

صبّرني لما صار ولم أكن بالصّبّار

وقال لي باستعبار •صبراً بني عبد الدار"[٢]

ومما تناقلته الناس فضمنه ابن عبدربه أبياته دون إشارة إليه في قوله[٣]:

وروضة ورد حفّ بالسوسن الغضّ

تحلّت بلون السّام والذهب المحض

رأيت بها بدراً على الأرض ماشياً

ولم أرَ بدراً قطّ يمشي على الأرض

إلى مثله فلتصب إن كنت صابياً

فقد كاد منه البعض يصبو إلى البعض

وكُلْ وردَ خدّيه ورمّان صدره

بمصّ على مص وعضّ على عضّ

وقل للذي أفنى الفؤاد بحبّه

على أنه يجزي المحبة بالبغض:

•أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا

---

[١] – العقد: ٦/٣١٥-٣١٦، وشعر ابن عبدربه ١٤٢.

[٢] – ينسب إلى هند بنت عتبة تخاطب بني عبد الدار أصحاب لواء المشركين في أحد، وهو باختلاف يسير في سيرة ابن هشام:٢/٦٧-٦٨، وورد دون نسبة في العمدة: ١/١٨٤، والقسطاس في علم العروض١١٣، و والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: ٧/١١٦، شمس العلوم: ٥/٣٠٤٧، ولسان العرب: (ر ج ز) و(ب ك ا).

[٣] – الأبيات في العقد ٦/٢٩٠، وشعر ابن عبدربه ١٩٤

حنانيك بعض الشّرّ أهون من بعض"[1]

وأختم في هذا الباب بأنموذج آخر على التضمين من أقوال المشاهير المشهورة المأثورة، ومن ذلك قول ابن عبدربه في أبيات له مضمنًا:

تجافى النّوم بعدْك عَن جفوني وَلَكِن لَيْسَ يجفوها الدُّمُوع

يذكرنِي تبسمك الأقاحي ويحكي لي توردك الرّبيع

يطير إِلَيْك من شوق فُؤَادِي وَلَكِن لَيْسَ تتركه الضلوع

كَأَن الشَّمْس لما غبت غَابَتْ فَلَيْسَ لَهَا على الدُّنْيَا طُلُوع

فَمَا لي عن تذكرك امْتنَاع وَدون لقائك الْحصن المنيع

•إذا لم تستطع شيئًا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع"[2]

التضمين بمواد شعرية غير شائعة

ينبغي في التضمين –نأيًا به عن السرقة– أن يكون شائعًا عند الناس، أو أن يشير المضمِّنُ إلى التضمين حتى لا يقع المتلقي في دائرة الوهم، إن لم يكن بشائع، على الرغم من ذلك فقد رأينا ابن عبدربه يضمّن أبياتًا شعرية غير سائرة في الناس، ولا يشير إلى أنه تضمين، وهذا ملاحظ في كثير من النماذج الشعرية عنده، ومن تلك النماذج قول ابن عبدربه مضمِّنًا[3]:

---

[1] – البيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه: ١٧٢.

[2] – ضمّن ابن عبدربه الأندلسي نصه السابق هذا البيت، وهو لعمرو بن معدي كرب في ديوانه: شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمع وتنسيق مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م: ١٤٥.

[3] – الأبيات في العقد ٣٢٤/٦، وشعر ابن عبدربه ١٩٣.

أأحرم منك الرّضا وتذكر ما قد مضى

وتعرض عن هائم أبى عنك أن يعرضا

قضى الله بالحبّ لي فصبراً على ما قضى

رميت فؤادي فما تركت بهمنهضا

فقوسك شريانة ونبلك جمر الغضى"[1]

فالبيت الأخير الذي ضمنه ابن عبدربه في أبياته الضادية السابقة غير جارٍ على ألسنة الناس، كما رأينا في أبيات التضمين في النصوص السالفة.

وعلى هذا النحو جاء كثير من الأبيات غير الشهيرة، كقوله مضمنًا[2]:

أعطيته ما سألا حكّمته لو عدلا

وهبته روحي فما أدري به ما فعلا

أسلمته في يده عيّشه أم قتلا

قلبي به في شغل لا ملّ ذاك الشّغلا

قيّده الحبّ كما قيد راع جملا"[3]

فبيت التضمين الأخير لم يرد في كثير من المظانّ، ولم تتناقله ألسنة الناس، ولم يشر إليه ابن عبدربه أثناء أبياته قبله، ولم يذكر من الألفاظ ما

---

[1] – البيت دون نسبة في اللسان (شرن)، وتاج العروس (شرن)، وشعر ابن عبدربه ١٩٣، والعقد الفريد ٣٢٤/٦، واليتيمة ١٠٦/٢

[2] – الأبيات في العقد ٣٠٧/٦، وشعر ابن عبدربه ٢٥٨.

[3] – نُسب البيت لإبراهيم بن إسحاق الهديمي في الوافي بالوفيات ٢١١/٥، والعقد ٣٠٧/٦.

يدل على التضمين، وهذا السواد الأعظم من أبياته التي ورد بها التضمين، وعلى هذا النحو سار ابن عبدربه في قوله[1]:

وبدر غير ممحوق من العقيان مخلوق
إذا أسقيت فضلته مزجت بريقه ريقي
فيالك عاشقا يسقى بقيّة كأس معشوق
يكيت لنأيه عني ولا أبكي بتشهيق
"لمنزلة بها الأفلا ك أمثال المهاريق"

فهذا تضمين لبيت شعري غير شهير في المظانّ، ولا تناقلته الركبان، ومع كثرة تلك الأبيات التي وردت على شاكلة هذا البيت فإن ابن عبدربه لا يشير إلى تضمينه إياها، كما أنه وإن كان بيت التضمين هنا غير شائع إلا أن الكثير من الأبيات التي ضمنها شاعرنا واضحة وجلية وشهيرة بين الناس، العام والخاص.

والنماذج على هذا وفيرة، وأختم بأنموذج أخير في هذا المجال، وهو التضمين لبيت غير مشهور في أبياته التي قاله فيها[2]:

يا غليلاً كالنار في كبدي واغتراب الفؤاد عن جسدي
وجفوناً تذري الدموع أسىً وتبيع الرقاد بالسهد
ليت من شفني هواه رأى زفرات الهوى على كبدي
غادة نازح محلّتها وكلتني بلوعة الكمد
«ربّ خرق من دونها قذف ما به غير الجنّ من أحد»[1]

---

[1] – الأبيات في العقد ٢٩٩/٦، وشعر ابن عبدربه ٢٤٠

[2] – الأبيات في العقد ٣١٨/٦، وشعر ابن عبدربه ١٢٩.

فبيت التضمين ليس من السيرورة على ألسنة الناس بمنزلة الأبيات التي أوردتها في المواد الشائعة السابقة، ولا يعني بالضرورة أنه لم يكن شائعًا في زمان ابن عبدربه عامة، أو في ثقافة الشاعر نفسه على وجه الخصوص، فالذيوع بحد ذاته خاضع للزمان والأشخاص والثقافات، وربما حتى المكان، ولكنني حاولت أن أجعل له سمة تتجلى فيما يكثر استعماله في زماننا، وفيما تناقلته المصادر والمراجع بكثرة؛ فثمة أبيات تحفظها الناس خاصتها وعامتها، متعلموها وأميّوها، ولا تكاد تجد مصدرًا أو مرجعًا من تراثنا العربي الأصيل إلا وتجدها ماثلة بها، أو ربما تمثلت تلك المظانّ بها في أكثر من موطن.

[١] – بيت التضمين لم أهتد إلى قائله، وهو في العقد ٣١٨/٦و٣٤٠، وشعر ابن عبدربه ١٢٩، والقسطاس ١١٨.

التضمين بمواد شعرية مجهولة القائل أو مختلف فيه

وأعني بالمواد الشعرية مجهولة القائل تلك التي لم أهتدِ بعد إلى قائلها، وليس معنى ذلك الجزم بأن ابن عبدربه لم يكن يعرف قائلها؛ فربما كانت لديه واضحة في هذا المجال، وهي كثيرة في أبياته التي ضمنها، ولكن الفيصل في نسبتها إلى قائليها ما بين يدينا من المظانّ، وليس في التضمين مطلب معرفة قائليها؛ فحلاوتها تتمثل في مواءمتها للنص الواردة في ثناياه، واتساقها مع أجزائه، وبروزها بشكل يعي المتلقي أنها تضمين واضح أراده القائل، وإلا خرج التضمين من كونه جمالية دلالية تحسب للقائل، إلى هنة تحسب عليه.

من النماذج الكثيرة الواردة لأبيات التضمين مجهولة القائل والتي ضمنها ابن عبدربه نصوصه ما ورد في أبياته التي يقول فيها[1]:

قلب بلوعات الهوى معمود ... حيّ كميت حاضر مفقود

ما ذقت طعم الموت في كأس الأسى ... حتى سقتنيه الظباء الغيد

من ذا يداوي القلب من داء الهوى ... إذ لا دواء للهوى موجود

أم كيف أسلو غادة ما حبّها ... إلا قضاء ماله مردود

القلب منها مستريح سالم ... والقلب منّي جاهد مجهود"[2]

ومن أبيات التضمين مجهولة القائل أيضًا قوله[3]:

---

[1] – الأبيات في العقد ٣٠٦/٦، وشعر ابن عبدربه ١١٥.

[2] – البيت في العقد ٣٠٦/٦و٣٣٣، وفي العمدة: ١٨٢/١ دون نسبة إلى قائل بعينه.

[3] – الأبيات في العقد ٢٩٩/٦و٣٢٩، وشعر ابن عبدربه ١٥٩.

غزال زانه الحور وساعد طرفه القدر

يريك إذا بدا وجهاً حكاه الشمس والقمر

براه الله من نور فلا جنّ ولا بشر

فذاك الهمّ، لا طلل وقفت عليه تعتبر

• أهاجك منزل أقوى وغيّر آيَه الغير"[1]

ومن الأبيات التي ضمّنها ابن عبدربه نصوصَه أبياتٌ من الشعر اختُلِف في نسبتها؛ فنسبت إلى أكثر من شاعر، ومن ذلك أبياته التي قال فيها مضمنًا آخر بيت منها[2]:

يا ليلة ليس في ظلمائها نور إلا وجوها تضاهيها الدنانير

حور سقتني بكأس الموت أعينها ماذا سقتنيه تلك الأعين الحور

إذا ابتسمن فدرّ الثغر منتظم وإن نطقن فدرّ اللفظ منثور

خلّ الصّبا عنك واختم بالنّهى عملاً فإنّ خاتمة الأعمال تكفير

• والخير والشرّ مقرونان في قرن فالخير متّبع والشر محذور"[3]

---

[1] – لم أقف على قائله، وقد ورد في العقد ٦/٢٩٩و٣٢٩، وشعر ابن عبدربه ١٥٩، والقسطاس ٨٧.

[2] – الأبيات في العقد ٦/٢٩٦، وشعر ابن عبدربه ١٥٥و١٥٦

[3] – نُسب البيت إلى سطيح خال عبدالمسيح بن نفيلة الغساني في العقد ١/٢٩٥، وإلى عبدالمسيح بن نفيلة في الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين =

فالبيت الأخير تضمين، وقد اختلف في نسبته بين شاعرين؛ فنسب (بقلَّة) إلى سطيح خال عبدالمسيح بن نفيلة الغساني، ولكن السواد الأعظم من المصادر تنسبه إلى عبدالمسيح بن نفيلة الغساني.

وعلى هذا ورد قوله أيضًا مضمنًا[1]:

أنت بما في نفسه أعلمْ فاحكم بما أحببت أن تحكمْ

ألحاظه في الحبّ قد هتكت مكتومة والحب لا يكتم

يا مقلة وحشيّة قتلت نفساً بلا نفس ولم تظلم

قالت تسلّيت فقلت لها ما بال قلبي هائم مغرم

• يا أيها الزاري على عمر قد قلت فيه غير ما تعلم"[2]

فالبيت الذي ضمنه ابن عبدربه في أبياته السابقة ورد في كثير من المصادر دون نسبة، وفي بعضها منسوبًا إلى كعب الأشقري، وفي أخرى إلى المرقش.

أحمد، عالم الكتب – بيروت: ٦٥/٢، ونهاية نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ: ١٣٠/٣، واللسان«سطح»، وعليه أغلب المصادر التاريخية في تراثنا العربي.

[1] – الأبيات في العقد ٣١٣/٦، وشعر ابن عبدربه: ٢٧٨.

[2] – البيت مضمن وهو دون نسبة في: إصلاح المنطق لابن السكيت١٧١، وتهذيب اللغة: ١٦٨/١٣، والصحاح واللسان (زرى)، والقسطاس ١٠٩، وشرح ديوان المتنبي، للعكبري ١٣٠/١، ومفتاح العلوم ٥٥٠، وورد منسوبًا إلى كعب الأشقري في تاج العروس (زرى) ومنسوبًا إلى المرقش في العمدة: ١٧٢/١-١٧٣.

المبحث الثالث:

موقف النص من الاقتباس والتضمين

الشاعر عندما يبني نصه الأدبي ينطلق من مرجعية لفظية ومعنوية ينتقيها كما يشاء، ولا يجد نفسه مكرهًا على ألفاظ أو معانٍ مملاة عليه إلا ما استدعاه المقام، ومع ذلك فإن من الشعراء من يُلحظ في معانيهم نقص شديد، وفي ألفاظهم تنافر كبير، على الرغم من انطلاقهم من خلفيات ثقافية ذاتية، ولكن الأخف وطأة في ذلك ما كان اقتباسًا من نص قرآني كريم، أو حديث نبوي شريف، أو تضمينًا من أقوال سابقة عليهم، أو أقوال سابقة لهم، والأكثر إبداعًا أن تتصف هذه المواد القدسية المقتبسة، أو المواد النصية المضمّنة بانسجام ومواءمة مع النص الأصلي الذي وردت جزءًا من بنائه، وشكّلت عنصرًا من عناصره؛ فجاءت كأنما هي جزء من النص الذي أورده قائله وكأنها له، في غاية الترابط والانسجام، وقد استوعبها النص الذي وردت فيه من غير شرود ولا نفور.

بين الاقتباس والنص عند ابن عبدربه

في تصوري أن الشاعر المتمكن هو من يطوّع نصه لاستقبال الضيف الحالّ في رحابه، دون إكراه له أو تشتيت لمكانته من النص الجديد، دون أن يضطر الشاعر إلى التعديل والتغيير بما يوقع التنافر من خلال تبديل الكلمات بجمعها أو إفرادها أو تثنيتها أو حذفها أو إقحام كلمات أو حروف بينها أو بأي مظهر من مظاهر إخراجها عن نصها الذي وردت عليه، وخاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ لأن الناس تحفظ تلك النصوص القدسية بنصّها؛ فما كان متغيرًا تمجه الأذن، ويخرج عن كونه فنًا يباهي به الشاعر إلى سقطة يقع فيها، على أنني لا أخلط في ذلك بين الاقتباس بمعناه

الحقيقي وبين الروح الإسلامية أو المعاني الإسلامية في النص عند دراسته دراسة فنيّة متعمقة.

من هذا الجانب، وبالنظر في النصوص القرآنية التي اقتبسها ابن عبدربه في أبياته الشعرية فإننا نلحظ أنها وردت بتعديل يسير لإقامة الوزن الشعري، ويظهر ذلك جليًّا في اقتباسه لقول المولى –عز وجل– «أقتلت نفسًا زكية بغير نفس...» [١] في مواضع عدة من أبياته؛ فلم ترد الآية القرآنية الكريمة بنصّها في أي منها، يقول[٢]:

قتلت نفساً بغير نفسٍ فكيف تنجو من العذابِ؟

فالاقتباس شمل الشطر الأول كاملًا ولم تدخله كلمة من خارج النص القرآني، ولكنه حذف كلمة «زكية» تحت طائلة الوزن، وهذا مثله موجود وكثير في التراث العربي، ومثل ذلك مع الحذف والتغيير قوله[٣]:

قتلت نفساً بلا نفس وما ذنب بأعظم من سفك الدم

وقوله[٤]:

يا مقلة وحشيّة قتلت نفساً بلا نفس ولم تظلم

ومن مظاهر الاقتباس التي ظهرت عند ابن عبدربه تقديمه وتأخيره في النص القرآني بعد اقتباسه لمناسبة القافية، وذلك نحو قوله[٥]:

---

[١] – سورة الكهف: ٧٤.

[٢] – العقد ٢٩٨/٦، وشعر ابن عبدربه ٦٩.

[٣] – العقد ٢٩٧/٦، وشعر ابن عبدربه ٢٨٦.

[٤] – البيت في العقد ٣١٣/٦، وشعر ابن عبدربه: ٢٧٨.

[٥] – شعر ابن عبدربه ٦٥

ما أنتم شيء ولا علمكم قد ضعف المطلوب والطالب[1]

تغالبون الله في حكمه والله لا يغلبه غالب

ففي البيت الأول اقتباس من قول المولى –عزوجل–: «ضعف الطالب والمطلوب»[2] وفي البيت الذي يليه اقتباس من قوله سبحانه: «والله غالب على أمره»[3].

الترابط بين النص والتضمين

قد يخفق أي شاعر في بناء وحدة تترابط فيها أبياته بسلاسة وانسجام رغم أنه في سعة من أمره عند إنشائها وبنائها، وفي موقف المتخيّر المنتقي عندما يحاول الربط بينها لفظًا أو معنى، وفي المقابل قد يبدع في ذلك غاية الإبداع، وهذا المعوّل عليه؛ لأنه مناط الإبداع، وميدان السباق. أما إذا كان في رحم نصه جنين طارئ عليه، يتمثل في التضمين فإنه يجب عليه أن يتعامل معه وكأنه جزء منه، وبحق فإن للشاعر المضمِّن أن يفخر إذا واءم بين نصه الذي ارتآه، وبين مادة أعجبته من النص الذي رآه، فيخرج النص بما تضمنه من مواد حديثة وقديمة، ومعاني جديدة وتليدة، وكأنه نص قد لفّ بين برديه جسد التاريخ والثقافة والفكر في مكان وزمان وشخصية محددات، دون تنافر ولا شتات بين الضيف والمستضيف، فيستوعب النص الجديد ما تضمنه من مواد لنصوص سابقة، وربما مباينة أو مضادة للغرض والموضوع

---

[1] – مأخوذ من قوله تعالى: (ضعف الطالب والمطلوب) الحج: ٧٣.

[2] – سورة الحج: ٧٣.

[3] – سورة يوسف: ٢١.

الذي يتناوله كلا النصين، ومن أمثلة استيعاب النص للبيت المضمّن قول ابن عبدربه الأندلسي[١]:

أنت دائي وفي يديك دوائي ... يا شفائي من الجوى وبلائي
إنّ قلبي يحبّ من لا أسمّي ... في عناء أعظم به من عنائي
كيف لا كيف أن ألذّ بعيش ... مات صبري به ومات عزائي
أيها اللائمون ماذا عليكم ... أن تعيشوا وأن أموت بدائي
"ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء"[٢]

فالبيت الأخير لعدي بن الرعلاء الغساني يذكر فيه أن الموت الحقيقي هو الفشل والجبن، فوظف ابن عبدربه هذا البيت في نصه توظيفًا موفقًا؛ لأنه أورده بعد بيت يتحدث فيه عن صبره، وأنه لا يبالي إذا مات بدائه وحسرته؛ لأن الموت الحقيقي ليس الرحيل عن الحياة، وإنما هو عيش الذلة والهوان، الذي يعيشه اللوام..

---

[١] – الديوان: ٥١، والعقد الفريد: ٣١٧/٦

[٢] – البيت المضمّن لعدي بن الرعلاء الغساني. معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تصحيح وتعليق: ف . كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م: ٢٥٢، الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ: ٣١٥، قرى الضيف لابن أبي الدنيا، تحقيق عبدالله بن حمد المنصور، دار أضواء السلف: الرياض، ط ١، ١٩٩٧م: ١٠٥/٢، شعر ابن عبدربه: ٥١.

ومن أجمل ما ضمنه ابن عبدربه من نصوص السابقين في جمالِ ترابط وانسجام، قوله وقد استوعب نصُّه البيتَ الأخير الذي ضمنه أبياته[1]:

ما أقرب اليأس من رجائي وأبعد الصبر من بكائي
يا مذكي النار في جوانحي أنت دوائي وأنت دائي
من لي بمخلفة في وعدها تخلط لي اليأس بالرجاء
سألتها حاجة فلم تفه فيها بنعمى ولا بلاء
•قلت: استجيبي فلما لم تجب سالت دموعي على ردائي"[2]

فبين البيت الأخير الذي ضمّنه نصه وبين البيتين اللذين قبله ترابط واضح، وقد تأكد ذلك من غير أن يشعر المتلقي أن الأبيات لأكثر من شاعر يشط بها عن بعضها الزمان والمكان والغرض، وقد كانت الروابط المعنوية ظاهرة بين الأبيات إضافة إلى اللفظية المتمثلة في الضمير البارز والمستتر العائد على المؤنث في «وعدها، تخلط، سألتها، تفه، استجيبي، لم تجب» وجاءت لفظتان مترابطتان في كلا البيتين لتؤكدا على الانسجام والترابط بينهما، وعلى استيعاب النص الجديد للبيت القديم، وذلك ظاهر في قوله: «سألتها.. قلت».

ومما أجاد فيه أيضًا قوله[3]:

كآبة الذّلّ في كتابي ونخوة العزّ في جواب
قتلت نفساً بغير نفس فكيف تنجو من العذاب

---

[1] – العقد الفريد: ٢٩٧/٦، ويتيمة الدهر للثعالبي: ٩٨/٢.

[2] –البيت دون نسبة في العقد الفريد: ٢٩٧/٦، ويتيمة الدهر للثعالبي: ٩٨/٢، وقرى الضيف: ٩٨/٢، كما ورد ضمن أبيات ابن عبدربه في الديوان: ٥٢.

[3] – الأبيات في شعر ابن عبدربه: ٦٩، والعقد: ٢٩٨/٦

خلقت من بهجة وطيب إذ خلق الناس من تراب
ولّت حميّاً الشباب عني فلهف نفسي على الشباب
• أصبحت والشيب قد علاني يدعو حثيثاً إلى الخضاب"[١]

فكأن البيت الأخير من النص، وهو البيت المضمّن جزءٌ من بناء النص في أول الأمر، وهذا دليل على إجادة ابن عبدربه، وتطويعه لمادته التي بناها حتى تتواءم وتنسجم مع المادة التي استلهمها من شعر السابقين؛ وبين المادتين اللتين ساقهما ترابط واضح؛ لأن كلتا المادتين تتناول انقضاء الشباب، وحلول المشيب.

هذا في جانب التضمين ببيت من الشعر، وأما في جانب التضمين بشطرٍ من البيت الشعري أو بجزء من شطره فمثل قول ابن عبدربه، وقد أجاد في الربط بين مادته ومادة التضمين[٢]:

لو انّ امرأ القيس بن حجر بدت له
لما قال: • مرا بي على أمّ جندب"

ففي آخر البيت، بل في النصف الأخير من الشطر الثاني تضمين من مطلع قصيدة لامريء القيس، وورد التضمين لآخر الشطر الأول ليكون آخر الشطر الثاني من شعر ابن عبدربه، يقول امرؤ القيس:

---

[١] – ورد البيت مجهولاً قائله في آخر نص لابن عبدربه الأندلسي تضمينًا، وهو في ديوانه: ٦٩، والعقد: ٢٩٨/٦، والقسطاس للزمخشري: ٨٣.

[٢] – النص في العقد: ٣٥٧/٦، وشعر ابن عبدربه: ٦٦، وبيت امرئ القيس في ديوانه: ٧٤، وشعر ابن عبدربه: ٦٦، والعقد: ٣٥٧/٦

خليلي مرا بي على أم جندب نقض لبانات الفؤاد المعذب.

وقد أجاد ابن عبدربه في ترابط المعنى في تضمينه بين النص الأصلي والمادة المستجلبة «المضمّنة»، ساعده في ذلك استخدامه للفظ: «لما قال» وهي براعة بارزة أجاد في اقتناصها ابن عبدربه أثناء تضمينه.

ومما سار عليه ابن عبدربه مسار التوافق والمواءمة بين المادة المضمنة والنص الواردة فيها قوله:

يا مليحة الدعج هل لديك من فرج

أم تراك قاتلتي بالدلال والغنج

من لحسن وجهك من سوء فعلك السمج

عاذليّ حسبكما قد غرقت في لجج

هل عليّ ويحكما إن لهوت من حرج"[1]

ولله در ابن عبدربه في ربطه الوثيق بين أبياته وبيت التضمين في قوله[2]:

يا غليلاً كالنار في كبدي واغتراب الفؤاد عن جسدي

---

[1] – نُسب لجارية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كما نُسب لسيرين أخت مارية القبطية. ينظر: البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م: ١٨٤/٥، ونثر الدر في المحاضرات، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م: ١٠١/٢، والأبيات بما فيها بيت التضمين في شعر ابن عبدربه: ٩٧، والعقد: ٣٢٠/٦–٣٢١

[2] – الأبيات في العقد ٣١٨/٦، وشعر ابن عبدربه ١٢٩.

وجفوناً تذري الدموع أسىً وتبيع الرقاد بالسهد

ليت من شفني هواه رأى زفرات الهوى على كبدي

غادة نازح محلّتها وكلتني بلوعة الكمد

• ربّ خرق من دونها قذف ما به غير الجنّ من أحد"[1]

ولله دره في بديع ربطه، وجمال تناسق أبياته مع التضمين في قوله[2]:

بين الأهلّة بدر ماله فلك قلبي له سلم والوجه مشترك

إذا بدا انتهبت عيني محاسنه وذلّ قلبي لعينيه فينتهك

ابتعت بالدين والدنيا مودّته فخانني، فعلى من يرجع الدرك

كفّوا بني حارث ألحاظ ريمكم فكلها لفؤادي كلّه شرك

• يا حار لا أرمين منكم بداهية لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك"[3]

ومما جرى مجراه من جمال الترابط بين نصه وتضمينه قوله[4]:

يا دهر مالي أصفي وأنت غير مواتي

---

[1] – بيت التضمين لم أهتد إلى قائله، وهو في العقد ٦/٣١٨و٣٤٠، وشعر ابن عبدربه ١٢٩، والقسطاس ١١٨.

[2] – الأبيات في العقد ٦/٢٩٥–٢٩٦، وشعر ابن عبدربه ٢٤٤.

[3] – البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو –نقلاً عن هامش شعر ابن عبدربه– في ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب بمصر، ١٣٦٣هـ: ١٨٠.

[4] – الأبيات باختلاف يسير في بعض ألفاظها في العقد ٦/٣٠٣و٣٠٤، وشعر ابن عبدربه ٧٦

جرعتني غصصاً بها كدّرت صفو حياتي

أين الذين تسابقوا في المجد للغايات

قوم بهم روح الحيا ة تردّ في الأموات

•وإذا هموا ذكروا الإسا ءة أكثروا الحسنات"[1]

ومن جميل ما وقع فيه الترابط فكان سمة بارزة لاستيعاب النص الأندلسي عند ابن عبدربه للبيت المضمن الذي انتقاه واستقاه واستبقاه قولُه[2]:

يا مقلة الرّشأ الغرير وشقّة القمر المنير

ما رنّقت عيناك لي بين الأكلّة والسّتور

إلا وضعت يدي على قلبي مخافة أن يطير

هبني كبعض حمام مكّة واستمع قول النذير:

•أبنيّ لا تظلم بمكّة لا الصغير ولا الكبير"[3]

---

[1] – (لم أهتد إلى قائله، وقد ورد في كتاب العروض، لابن جني: ٩١، والعقد ٣٣٢/٦، والقسطاس ٩٢، وشمس العلوم ٥٨٩٦/٩، ومفتاح العلوم ٥٤٠، دون نسبة).

[2] – العقد ٣٠٣/٦، وشعر ابن عبدربه ١٤٠.

[3] – البيت منسوب لسبيعة بنت الأحب. سيرة ابن هشام:٢٥،٣٢/١، وكتاب القوافي للأخفش: ٨٩، وسمط اللآليء ٦٠/١، والعمدة: ١٤٧/١، والروض المعطار في خبر =

عدم الترابط بين النص والتضمين

قد يحدث للشاعر في أبياته ذاتها تنافر في المعنى واضطراب في اللفظ مع أنه كان صاحب الفكرة والصياغة، ومن هنا فليس ببعيد أن يتنافر ما بناه مع بناء سابق؛ لأنه محكوم ببداية له، والحصيف من ربطها بنهاية نصه ربطًا منطقيًا متسلسلاً وكأن مادتي نصه وتضمينه نصًّا واحدًا، ولكن مع الإكثار من التضمين فقد وقع التنافر والتباين بين مادتي النص السابقة (التضمين) واللاحقة (نص ابن عبدربه)، ومن ذلك قوله[١]:

شادن يسحب أذيال الطّربْ يتثنّى بين لهو ولعبْ
بجبين مفرغ من فضّة فوق خدّ مشرب لون الذهب
كتب الدمع بخدّي عهده للهوى والشوق يملي ما كتب
ما لجهلي ما أراه ذاهباً وسواد الرأس مني قد ذهب
قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي رأس هذا واشتهب"[٢]

ومع ما قد يلوح من الشعور لدى القارئ بعدم وجود قوة الترابط بين مادتي النص إلا أن ابن عبدربه اجتهد كثيرًا في الربط بينهما، يتجلى ذلك من خلال التكرار اللفظي لشيب الرأس في البيتين الأخيرين، ولكن –في تصوري–

الأقطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م: ١٤٩.

[١] – الأبيات في العقد: ٣٠٩/٦، وشعر ابن عبدربه: ٥٨.

[٢] – ضمّن ابن عبدربه البيت الأخير من شعر امريء القيس، وهو في ديوانه: ٥٤.

أن قول الشاعر: «قالت الخنساء...» لم يكن بينه وبين ما قبله رابط لفظي قوي.

ومثل الأبيات الماضية في عدم الترابط فيما بينها وبين التضمين قوله[1]:

تجافى النّوم بعْدك عَن جفوني ... وَلَكِن لَيْسَ يجفوها الدُّمُوع

يذكرنِي تبسمك الأقاحي ... ويحكي لي توردك الرّبيع

يطير إِلَيْك من شوق فُؤَادِي ... وَلَكِن لَيْسَ تتركه الضلوع

كَأَن الشَّمْس لما غبت غَابَتْ ... فَلَيْسَ لَهَا على الدُّنْيَا طُلُوع

فَمَا لي عن تذكرك امْتنَاع ... وَدون لقائك الْحصن المنيع

•إذا لم تستطع شيئًا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع"[2]

فالبيت الأخير تضمين، ولكنه –في تصوري– غير مرتبط بما قبله، فلا أجد بينه وبين البيت الذي يسبقه رابطة تربطه به، وتعيده إليه، وتعطفه عليه، وخاصة من ناحية الألفاظ، وهذا ما لم نعهده في ابن عبدربه وحرصه على الترابط بين نصه وبين المادة التي ضمّنها نصَّه.

[1] – أبيات ابن عبدربه في ديوانه: ٢١٠، والعقد: ٦/٢٩٨–٢٩٩.

[2] – ضمّن ابن عبدربه الأندلسي نصه السابق هذا البيت، وهو لعمرو بن معدي كرب في شعره: ١٤٥.

خاتمة

بالنظر لما اشتملت عليه هذه الأوراق من الحديث عن الاقتباس والتضمين وما فيهما من الصلة بين النص الحاضر والنص الغائب يتبين أن هذا البحث قد يكون نواة لدراسة أوسع وأشمل لشعر ابن عبدربه، وتناوله من جوانب أخرى، قد تكون التقليدية في شعره واحدة منها، وكذلك التناص، والخصائص الفنية، والروح الإسلامية..

وفي الجملة فإن البحث قد أوقد فيّ أوار التفكير في ديوان ابن عبدربه الذي جمعه للحكم، وكيف تعلقت الروح بجسد الفردوس المفقود بما فيه من أسرار تتكشف حتى تكون واقعًا مريرًا، ذلك الواقع الذي يبرهن على وحشية الإنسان، ولعل إتلاف تراث الأندلس العلمي الحضاري أكبر دليل على وحشية الإنسان الذي لم يشعر بمصدر إنسانيته، المتمثل في العلم والمعرفة، التي تدل على العقل، ذلك العقل الذي ما زال يحكي الانكسار بعد الانتصار، ولكن الأمل في ظهور مخطوطات جديدة تأصّل في النفوس بعد ظهور عدد من مخطوطات مجدنا التليد، شرفني الله بالاطلاع على بعضها في جبال مالقة، ولعل الله تعالى يمنّ علينا بظهور المزيد من المخطوطات الأدبية الثرية التي تحكي مجدنا الأبدي–إن شاء الله تعالى– ومن يدري هل يكون من بينها ديوان ابن عبدربه الأندلسي؟ ولكنني في المقابل أعيش مع الحاضر غير يائس من المنتظر، متخذًا من شعره الذي بين أيدينا ميدانًا فسيحًا للنظر..

من هنا فإني أهيب بالمهتمين بالشعر الأندلسي عامة، وبابن عبدربه على وجه الخصوص أن يعيدوا النظر مرارًا في جانب التقليدية والتجديدية عنده؛ لأن ذلك مما تنازعت فيه آراء الدارسين من غير أن يكون ثمة دراسة متعمقة توضح مواطنهما من شعره، دون إغفال نثره، وتحكم عليه به، وإلى أن تتضح معالم هذا الجانب فإن لابن عبدربه إسهاماتٍ كبيرةً في بناء التقليدية

في الشعر الأندلسي، من خلال اقتباسه وتضمينه من أشعار السابقين وأقوالهم، في صورة تؤصل حبه للقديم وهيامه به، رغم أنه عاش في مفترق الطرق المفضية إلى التجديد في الشعر العربي الأندلسي، بل إن بعض المصادر عدّته رائدًا من رواد الموشح الأندلسي الموسوم بالجدة في النشأة والشكل والمضمون.

ومن خلال هذا البحث لمعت في ذهني فكرة جديرة بالدرس وذلك بالنظر في ظاهرتي التجديد والتقليد؛ فهل مردّ التشبث بالتقليد للمشرق عند شعراء الأندلس الخوف، أم الانبهار، أم الامتداد؟ وهل رأى الأندلسيون في شعر المشارقة التقليديين تجديدًا لهم عندما يلتفتون إلى قديم الإسبان الذي قد يشعرون بقدمه وتقليديته؟ أحاول أن أجد تفسيرًا راجحًا لهذه التساؤلات التي علقت بذهني، ولا يتم ذلك إلا بقراءة متعمقة لموروثات العربية والإسبانية بشكل واسع، وجمع شتاتها بين دفتين من خلالهما تتضح هذه الأبعاد التي قد تتوارى عن الترائي.

وأحمد لهذا البحث أنه أوقد في ناظريّ تصور الجمع بين التقليد والتجديد لدن شاعر واحد؛ فتراه موغلاً في القديم حتى تخاله من بقايا العصر الجاهلي، ثم تندهش به، وكأنه جليس أبي نواس، ومسلم بن الوليد، وابي العتاهية، ولعل هذا ظاهرٌ في جانبين عند ابن عبدربه: جانب القديم من خلال الاقتباس والتضمين والمعارضات، وجانب الجديد من خلال بعض الآراء التي أشارت إلى اختراعه للموشح كفن أندلسي عربي جديد، إضافة إلى بعض مظاهر التجديد التي عرضت لي أثناء البحث، ولكنها جديرة بالاهتمام والرعاية في دراسات مستقلة، إن هذا التنازع بين هذين الجانبين المتباينين من إسقاطات الفترة الزمنية والسياسية والفكرية التي عاشها ابن عبدربه، وخاصة العصر الجوهري لبني أمية في الأندلس، عصر الخليفة عبدالرحمن الناصر.

ولعل مما يجدر الالتفات إليه في دراسة الشعر الأندلسي عامة، وابن عبدربه خاصة المقطعات العروضية التي اهتم بها الشاعر، والتي جاء السواد الأعظم من تضمينه فيها، وذلك لأهمية دراستها في استحضار صورة أندلسية لهذا النوع من النظم، والذي –ربما كان له– حضوره البارز في الشعر التعليمي في الأندلس، والذي كان ظاهرة وقف أمامها الدراسون كثيرًا.

في هذه الدراسة التي بين أيدينا وضوح تام لثقافة ابن عبدربه الواسعة، وإلمامه بشواهد شعرية، وأمثال عربية، إضافة إلى عقده الذي تتزين به أجياد العلم والأدب، سواء أكانت شهيرة في الناس ذائعة، أم كانت غير متداولة على ألسنتهم؛ وذلك من خلال استحضاره لنصوص قديمة، واستلهامه وتضمينه لبعض أبياتها، يستوي في ذلك عنده معلوم القائل ومجهولهُ.

كما لا يفوت التنويه إلى أن ابن عبدربه قد أجاد إجادة كبيرة وفي كثير من النماذج التي اشتملت على التضمين في الجانب التوظيفي للمادة المضمَّنة في النص الذي يريده؛ حتى غدت في أمثلة عديدة كجزء لا يتجزأ من النص الشعري لابن عبدربه؛ وذلك من خلال قدرته وقدرة نصه على استيعاب التضمين بمقدمات وممهدات له، سواء أكانت لفظية أم معنوية يدل عليها السياق.

وخلصت الدراسة أيضًا إلى هيام ابن عبدربه بالاقتباس والتضمين، حتى لا يكاد يخلو نص شعري له من أحدهما، بل منهما معًا في عدد من النصوص الشعرية، في صورة تعكس الثقافة التي عاشها، والاتجاه الشعري الذي اهتم به، بقصدٍ منه أو بغير قصد.

وختامًا؛ فإننا أمام قامة شعرية لها حضورها في روح الأندلس، وفي عقل المشرق، يتمثل ذلك في إرث ابن عبدربه الأدبي الأندلسي الجليّ، الذي

آمل أن يكون التعاطي مع شعره من خلال الشعر الأندلسي عامةً مَاتَّة أتقرّب بها إلى روح الفردوس الزكية النقية.

المصادر والمراجع العربية:

- الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، محمد رجب البيومي، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقّري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، لجنة التأليف والنشر بالقاهرة.
- إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى. علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا. دار الكتب العلمية – بيروت. ط١، ١٤١١هـ
- الأمثال، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م
- الأوراق، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، شركة أمل، القاهرة، ١٤٢٥هـ
- بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م
- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط: ١٧، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

– بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، روخس ١٨٨٢م

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية – لبنان.

– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٨٣ م.

– تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

– تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ١٧، ١٩٦٠م

– تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٤م

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

– تاريخ الفكر الأندلسي. آنخل جنثاليث بالنثيا، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية– القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

– التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ

– التقاليد الشامية في الديار الأندلسية، محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

– تلخيص المفتاح، في المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية سيدا، بيروت، ط. ١، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م.

– تهذيب اللغة، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م

– جذوة المقتبس من ذكر ولاة الأندلس، الحميدي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٦م.

– جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

– حضارة العرب في الأندلس، عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٤١هـ/١٩٢٣م

– الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب – بيروت

– خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، ط. ٢٠٠٤م.

– دستور العلماء، أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت، ط. ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

– دمية القصر وعصرة أهل العصر، أبو الحسن، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ

– دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

– شعر ابن عبدربه الأندلسي، أحمد بن محمد، تحقيق: محمد أديب عبدالواحد جمران، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

– ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق الشيخ حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٤م

– ديوان امرِئ القيس، لامْرئ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

– ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب بمصر، ١٣٦٣هـ

– ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

– الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م

– الزجل في الأندلس، د. عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة، جامعة الدول العربية. الرسالة ١٩٥٧م.

– سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد، عبدالله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

– السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

– شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م

– شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

– شرح ديوان المتنبي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة – بيروت

– الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاته، محمد بنيس، دار توبقال– المغرب ، ط١، ١٩٩٠م

– شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمع وتنسيق مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

– شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، وآخرينِ، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

– الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

- العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدربه، المعروف بابن عبدربه الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ
- علم العروض والقافية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط:٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- عيون الأخبار، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ
- غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط، ضبطه وصححه وعلق حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- فصول من الأندلس في الأدب والنقد والتاريخ، مجموعة من الكُتَّاب، ترجمها: أبو همام، عبداللطيف عبدالحليم.
- قرى الضيف لابن أبي الدنيا، تحقيق عبدالله بن حمد المنصور، دار أضواء السلف: الرياض، ط ١، ١٩٩٧م
- القسطاس في علم العروض، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان، ط٢ المجددة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- كتاب العروض، لابن جني الموصلي ، تحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار القلم – الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ابن الأثير. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية – بيروت. ١٩٩٥م.

- مجلة دراسات أدبية. مركز البصيرة للدراسات والبحوث بالجزائر. ع جوان ٢٠٠٩م.

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ

- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠

- المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرينِ، الأميرية، القاهرة ١٩٥٤م

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس للفتح بن محمد بن عبدالله القيسي ابن خاقان، ط١، الجوائب ١٣٠٢هـ.

- معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تصحيح وتعليق: ف . كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

- مفتاح العلوم، السكاكي الخوارزمي الحنفي ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. المقتطف من أزهار الطرف، علي بن موسى بن سعيد، أبو الحسن الأندلسي، نشر شركة أمل القاهرة، ط. ١٤٢٥هـ.

– موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، ترجمة: عبدالله الخالدي، وجورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١، ١٩٩٦م

– الموشحات، إرث الأندلس الثمين، دراسة وشواهد، د. جميل سلطان، طبعة: ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

– نثر الدر في المحاضرات، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م

– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقّري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

– نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ

– نوادر المخطوطات، عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣.

– الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق إحسان عباس. دار صادر – بيروت ١٩٩٤.

– يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

المراجع والمواقع الأجنبية:

- ***Al-Khassa wa al-'Amma*** **[La élite y el pueblo común] en la historia social de al-Andalus. Una aproximación al estudio de las clases sociales y la movilidad social en la España musulmana (711-1090), Roberto Marín Guzmán, en *Estudios de Asia y África,* vol. XXXIV, núm. 3 (110), 1999.**
- **Aproximación cuantitativa al estudio de las jarchas en muwaxahas árabes, Francisco Marcos Marín, La corónica: A Journal of Medieval Hispanic Languages, Literatures & Cultures, Vol. 24, Nº 1, 1995.**
- **De la jarcha a la moaxaja, Emilio García Gómez, Historia y crítica de la literatura española. Vol. 1, Tomo 1, 1979.**
- **El bilingüismo de una jarcha mozárabe, Gerold Hilty, Literatura y bilingüismo, 1993.**
- **ESTUDIOS ORIENTALES VI: 2, 1971, La poesía Hispanoárabe durante el Califato de Córdoba. Teoría y práctica, JAMES T. Monroe: 114, Ímagenes poéticas Hispano-Musulmana, Wilhelm Hoenerbach**
- **http://en.wikipedia.org/wiki/Ibn_Abd_Rabbih.**
- **La Poesía Hispanoárabe durante el Califato de Córdoba, JAMES T. MONROE, ESTUDIOS ORIENTALES, VI: 2, 1971.**
- **Las jarchas mozárabes: forma y significado, Alvaro Galmés de Fuentes, Barcelona, D.L. 1994.**
- **Las jarchas romances y la crítica árabe moderna, Consuelo López-Morillas, AIH. Actas VIII. 1983. Centro Virtual Cervantes.**
- **LOS POETAS CLÁSICOS JUDEO-ANDALUSÍES EN TRES *AGGADOT* JUDEOESPAÑOLAS, María José Cano, BIBLID [0544-408X(2002).**
- **Notas Sobre la Poesía Amorosa de Ibn `Abd Rabbihi, José Manuel CONTINENTE FERRER, XXXV, Al-Andalus, 1975.**
- **Poesia amorosa, Ibn'Abd Rabbihi Al-Andalusī ,trad. Miguel A. Borrego y Manuel Guillen, Jerez de la Frontera, A Bordo, 1997.**
- **Poesía cordobesa del siglo I al XVII (antología crítica), Feliciano Delgado León, Publicaciones del Monte de piedad y Caja de ahorros de Córdoba.**